مجلة عجمان للدراسات والبحوث

ISSN 1609-381X

دورية محكمة

المجلد الثامن - العدد الثاني
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

تصدر عن جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم
عجمان - دولة الإمارات العربية المتحدة

مجلة عجمان للدراسات والبحوث
دورية محكمة

رئيس التحرير

د. آمنة خليفة محمد

سكرتير التحرير

ميس عارف كامل

هيئة التحرير

أ.د. عبدالله محمد الشامسي

د. عائشة مبارك الناخي

د. يوسف علي محمود

أ. صالح عبد الرحمن المرزوقي

الهيئة الاستشارية

أ.د. إبراهيم النعيمي	جامعة قطر
أ.د. درويش عبد الرحمن	جامعة الإمارات
أ.د. عبد الله إسماعيل	جامعة الإمارات
أ.د. عبد الله الشيخ	جامعة الكويت
أ.د. فهمي جدعان	جامعة الكويت
أ.د. محمد الخطيب	مدارس الملك فيصل
أ.د. محمود شوق	جامعة القاهرة
أ.د. وهيب الخاجة	جامعة البحرين للعلوم التطبيقية
د. عبد الله الشنفري	جامعة السلطان قابوس
د. عصام الرواس	جامعة السلطان قابوس

جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن رأي الكاتب أو الباحث

مجلة عجمان للدراسات والبحوث

دورية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات الإنسانية والعلمية وتصدر عن جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم، والتي تأسست عام ١٩٨٣م لتساهم في الإثراء والتنمية الثقافية والعلمية في مجتمع دولة الإمارات بصورة خاصة ودول مجلس التعاون الخليجي بصفة عامة من خلال إحياء روح التنافس بين أبناء المنطقة والمقيمين فيها وتشجيع البحث العلمي.

أهداف المجلة:

١. نشر البحوث الإنسانية والعلمية الجادة والأصيلة التي يعدها الباحثون وذلك من أجل إثراء المعرفة.
٢. توطيد الصلات العلمية والفكرية بين الباحثين وطلبة العلم وتحقيق التواصل العلمي والثقافي مع الهيئات العلمية والمراكز والجامعات والكليات المتخصصة.
٣. معالجة القضايا الإنسانية والعلمية وخاصة المتعلقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ومنطقة الخليج العربي.
٤. التعريف بالبحوث الجديدة والمراجع والمصادر الحديثة والمؤتمرات والندوات العلمية والأطروحات الجامعية.

قـواعـد النشـر

١. أن يكون البحث متسماً بالأصالة والدقة وسلامة الاتجاه.
٢. أن يكون البحث مطبوعاً خالياً من الأخطاء اللغوية مع مراعاة قواعد الضبط المتعارف عليها.
٣. ألا يتجاوز البحث (٤٠) صفحة (١٨٠٠٠) كلمة.
٤. أن يرسل الباحث ثلاث نسخ من البحث قياس ورق A٤ مع ترك مسافة بين الأسطر.
٥. تقبل البحوث باللغة العربية أو الإنجليزية، على أن يتضمن البحث ملخصاً باللغتين بما لا يتجاوز ٢٥٠ كلمة لكل ملخص.
٦. ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو حصل على موافقة بالنشر في مجلة أخرى أو نال به جائزة لدى أية جهة.
٧. المراجع: ترقم المراجع وترتب حسب تسلسل ورودها في البحث، بحيث يتم الرجوع إليها حسب الرقم المعطى لها، على أن ترتب في القائمة وفقاً للنسق التالي:

الكـتـب: [اسم المؤلف، اسم الكتاب، الجزء، الطبعة، الناشر، المدينة، الدولة، السنة].

الدوريات: [اسم الباحث، عنوان البحث، اسم الدورية، مجلد رقم ..، العدد رقم ..، الناشر، المدينة، الدولة، السنة].

٨. لا يحق لأعضاء هيئة تحرير المجلة أو أعضاء مجلس أمناء جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم أو مجلس إدارة جمعية أم المؤمنين النسائية النشر في المجلة.
٩. يتم تحكيم جميع البحوث قبل نشرها في المجلة.
١٠. لا تلتزم المجلة برد أصول البحوث المقدمة إليها في حالة قبولها للنشر وفي حالة عدم قبولها للنشر من حق الباحث استرداد بحثه.
١١. يتم إبلاغ جميع الباحثين بقرار صلاحية بحوثهم للنشر من عدمه.
١٢. لا يجوز لأصحاب البحوث التي تنشر في المجلة أن يعيدوا نشرها أو جزء منها في مؤلف أو مجلة أخرى إلا بعد موافقة خطية من رئيس التحرير.
١٣. يرفق كل باحث نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية مبرزاً أهم مؤلفاته بما لا يتجاوز (٥٠) كلمة.

مجلـة عجـمان للدراسـات والبحـوث

دورية محكمة

المجلد الثامن، العدد الثاني، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري

أ. د. صالح بن علي أبو عرّاد ٧

التاريخ وتفسير العالم؛ المفكرون الأوربيون والوعي بالتحولات الكبرى

أ. د. إسماعيل نوري الربيعي ٢٧

الحوار: مفهومه، أهميته، أركانه، شروطه

أ. محمد عبد الحميد أحمد العدوي ٤٤

دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري
The Role of University in attaining intellectual Security.

أ.د. صالح بن علي أبو عرّاد *

ملخص

تسعى هذه الدراسة للتعرف على المقصود بمصطلح الأمن الفكري، وتعرُف أهميته وضوابطه. كما أنها تُسلط الضوء على الجامعة كواحدة من أبرز المؤسسات التربوية في المجتمع المعاصر من خلال بيان أهميتها، وتعرُّف وظائفها المتنوعة في المجتمع ، ثم تقديم بعض الرؤى حول الدور المأمول من الجامعة كواحدةٍ من أبرز المؤسسات التربوية المجتمعية التي تحتضن الشباب وهم في أخطر المراحل العمرية التي يحتاجون خلالها إلى استيعاب مفهوم الأمن الفكري، ومن ثم العمل على تحويله من مجرد مفهومٍ نظري إلى واقعٍ تطبيقي، وسلوكٍ عملي يعيشه الجميع، وينعُمون به في مجتمعهم انطلاقًا من كون خدمة المجتمع إحدى أهم وظائف الجامعة الرئيسة .

وقد حرصت الدراسة على طرح تصورٍ عامٍ للدور الذي يمكن للجامعة أن تقوم به في سبيل تحقيق الأمن الفكري من خلال تسليط الضوء على مجموعة الأدوار التي يمكن أن تقوم بها العناصر الأساسية في منظومة التعليم الجامعي، والتي تتمثل فيما يلي :

- الأستاذ الجامعي .
- المناهج والمقررات الجامعية .
- الطالب الجامعي .
- الأنشطة الطلابية الجامعية .

وجاءت خاتمة الدراسة بمجموعةٍ من التوصيات ذات العلاقة بالموضوع .

* كلية المعلمين – جامعة الملك خالد في أبـــها بالمملكة العربية السعودية.

Prf. Saleh Bin Ali Abu arad*

Abstract

This study identifis what is meant by intelectual security as well as its significance and limitations.The various roles of universities are also identied as one of the most important educational institutions. This study also presents visions for the anticipated role of universities as an institution that shape the life of youth in their most delicate years when they want to absorbe the concept of intelectual and academic freedom, and then transform it to reality and practical behaviour. student would enjoy practicing it as community service is considered to be one of the most important function for universities.

This study tries to presents a general preciption to the role universities can play in attaining intelectual security through discussing the different roles of higher education institutions including:

- Academic staff
- Curriculum
- University students
- Student activities

The study at the end provided a list of recommendations relative to the subject

* Faculty of Education - King Khalid university in Abha - K.S.A.

مقدمـــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فتُعد نعمة الأمن من أعظم وأجل النعم التي يُنعم الله تعالى بها على الإنسان فيحيا حياةً سعيدةً وهانئة، ينعم خلالها بالطمأنينة والاستقرار، وهي إلى جانب ذلك من أهم وأبرز مُتطلبات الحياة التي ينشُدها الأفراد والمُجتمعات في أي زمانٍ ومكانٍ؛ ولاسيما أن الأمن من الخوف من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لحمد الله تعالى وشكره.

وعلى الرغم من شمولية مفهوم الأمن لمختلف جوانب الحياة الدينية والدنيوية؛ إلا أن الأمن الفكري يُعد واحدًا من أبرز وأهم الجوانب التي تندرج تحت مفهوم الأمن العام أو الشامل الذي لا غنى لأي مجتمع من المجتمعات عنه؛ فهو ركيزةٌ أساسيةٌ تعتمد عليها جميع الدول – قديمًا أو حديثًا – في بناء مجتمعاتها وتحقيق الخير والرخاء والتقدّم لمواطنيها، وهذا يعني أن الأمن الفكري مسألةٌ جوهريةٌ تهم جميع الأفراد والفئات في المجتمع، وقضيةٌ رئيسةٌ يجب أن تُعنى بها جميع المرافق والمؤسسات التربوية الرسميةً أو غير الرسمية في المجتمع، وأن تُسهم جميعها في تحقيقها على النحو الذي يكفل نجاح أهدافها المرجوة وغاياتها المنشودة، وعلى رأس ذلك كله تحقيق الأمن الفكري الذي لا يمكن أن تستقر الحياة الفردية أو الجماعية بدونه.

والدراسة الحالية تسعى للتعرف على المقصود بمصطلح الأمن الفكري وتعرُف أهميته وضوابطه، كما أنها تُسلط الضوء على الجامعة، وأهميتها، ووظائفها في المجتمع، ثم تقديم بعض الرؤى حول الدور المأمول من الجامعة كواحدةٍ من أبرز المؤسسات التربوية التي تحتضن الشباب وهم في أخطر المراحل العمرية التي يحتاجون خلالها إلى استيعاب مفهوم الأمن الفكري، والعمل على تحويله من مجرد مفهومٍ نظريٍ إلى واقعٍ وسلوكٍ عمليٍ يعيشه الجميع، وينعُمون به في مجتمعهم انطلاقًا من كون خدمة المجتمع إحدى أهم وظائف الجامعة الرئيسة.

موضوع الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى طرح بعض الرؤى حول الدور المأمول من الجامعة في تحقيق الأمن الفكري من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بالأمن الفكري؟ وما أهميته؟ وما أبرز ضوابطه؟

٢. ما المقصود بالجامعة؟ وما أهميتها في المجتمع المعاصر؟

٣. ما دور الجامعة كمؤسسةٍ تربوية في المجتمع؟

٤. ما دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف على المقصود بالأمن الفكري وأهميته وضوابطه.

٢. التعرف على المقصود بالجامعة وأهميتها في المجتمع المعاصر.

٣. توضيح دور الجامعة كمؤسسةٍ تربوية في المجتمع.

٤. إبراز دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري.

أهمية الدراسة

١. تنبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تناقشه؛ ذلك أن تحقيق مفهوم الأمن الفكري في المؤسسات التربوية – ومنها الجامعة – أصبح ضرورةً اجتماعيةً وأمنيةً لازمة في هذا العصر.

٢. ندرة الدراسات العلمية – إلى حدٍ ما – حول موضوع الأمن الفكري على مستوى المملكة

العربية السعودية.

٣. عنايتها بالجامعة كمؤسسةٍ تربويةٍ اجتماعيةٍ تحتضن الشباب في أخطر المراحل العُمرية التي يحتاجون فيها إلى التوجيه الصحيح والتحصين اللازم لكثيرٍ من الانحرافات الفكرية على وجه الخصوص.

٤. إسهامُها في تشجيع الباحثين الآخرين في الميدان التربوي لإجراء دراساتٍ أخرى حول موضوع الأمن الفكري.

منهج الدراســة

تستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع البيانات وتبويبها وتحليلها، للوقوف على المقصود بالأمن الفكري، وبيان أهميته وأبرز ضوابطه، والتعرف على المقصود بالجامعة، وأهميتها في المجتمع، وبيان دورها كمؤسسةٍ تربوية معنيةٍ بشريحةٍ كبيرةٍ من أبناء المجتمع، وأخيرًا، إبراز دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري.

إجراءات الدراسة

للإجابة عن تساؤلات الدراسة وتحقيق أهدافها، تسير الدراسة وفق التالي:

أولاً. استعراض بعض الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوعها.

ثانيًا. الإطار النظري، ويشمل المحاور التالية:

- المحور الأول: المقصود بالأمن الفكري وأهميته وضوابطه.
- المحور الثاني: المقصود بالجامعة وأهميتها في المجتمع.
- المحور الثالث: دور الجامعة كمؤسسةٍ تربوية في المجتمع.
- المحور الرابع: أبراز دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري.

وفيما يلي تناول ذلك بالتفصيل:

أولاً: الدراسات السابقة

هناك بعض الدراسات السابقة التي تناولت جوانب مختلفة من موضوع الأمن الفكري من زوايا مختلفة، ومنها ما يلي:

١. دراسة (محمد عبد الله آل ناجي. ١٤٢٥هـ) بعنوان: المسؤولية الأمنية للجامعات ومراكز البحث العلمي.

وقد أشارت الدراسة إلى الدعائم الرئيسة لمقومات الأمن والأمان والاستقرار في المملكة، وسلطت الضوء على دور رجال البحث وقادة الفكر في تحمل مسؤولية قضايا الأمن الوطني، إضافةً إلى تحديد رسالة الجامعة ومسؤوليتها في توظيف المعرفة والبحث العلمي في مجال الأمن الوطني.

كما أكدت على الدور الهام والحيوي الذي يمكن أن تقوم به مراكز البحوث العلمية في إجراء الدراسات الأمنية بمختلف مناهجها ومستوياتها، مع التركيز على الدور الهام الذي يمكن أن يقوم به أستاذ الجامعة مع مؤسسات المجتمع لحماية الأمن الوطني.

٢. دراسة (محمد بن ناصر القرني. ١٤٢٥هـ) بعنوان: المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية.

وقد أكدت الدراسة أهمية دور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على الأمن العام، والمشاركة الفعّالة من جميع فئات المجتمع وأفراده في ذلك، كما أكدت أن صمام الأمان لحفظ الأمن في المجتمع يتمثل في تعليم الناس علم الشريعة الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة، وأن تقصير تلك المؤسسات في أداء دورها، واقتصارها على الحفظ، والتلقين، والاسترجاع، يؤدي بالضرورة إلى اختلال الأمن وغيابه في المجتمع.

٣. دراسة (هاشم بن محمد الزهراني. ١٤٢٥هـ) بعنوان: الأمن مسئولية الجميع.. رؤيةٌ مُستقبلية.
وقد أشارت الدراسة إلى أهمية الأمن، ووسائل تحقيقه، وأنواعه، والمقومات الأساسية لدعمه على اعتبار أن الأمن الشامل مسؤولية الجميع، ثم عرض لسبع مؤسسات اجتماعية عدّها مسؤولةً عن التعاون في المجال الأمني، مؤكدًا على ضرورة التكامل والتنسيق فيما بينها على المستوى الفردي، أو المستوى الأُسري، أو المستوى المحلي. وفي رؤيته المستقبلية أكّد على دور كلاً من:
المواطن والمؤسسات التعليمية، وبعض المؤسسات الاجتماعية الأُخرى، ووسائل الإعلام والاتصال، وأخيرًا دور أجهزة الأمن في تحقيق الأمن العام في إطار تحقيق الأمن المستقبلي.
٤. دراسة (بركة بن زامل الحوشان. ١٤٢٥هـ) بعنوان: أهمية المؤسسات التعليمية في تنمية الوعي الأمني.
وقد خلُصت الدراسة إلى أن المؤسسات التعليمية تؤدي دورًا حيويًا في تنمية الوعي الأمني عن طريق تعليم المعايير الاجتماعية، والقيم، والاتجاهات، والأدوار الاجتماعية الجديدة بشكلٍ مضبوطٍ ومنظم. كما أنها تُعوِّد الطالب الاعتماد على النفس، والتنافس الشريف، وتحمل المسؤولية، واحترام النظام، والتمسك بالحقوق، وأداء الواجبات، والعمل بروح الفريق. ويمكن للمدرسة غرس الوعي الأمني لدى طلابها عن طريق المناهج الدراسية، والأُسر المدرسية التي تُمارس النشاط الطلابي وغيرها.
٥. دراسة (أحمد عبد الكريم غنوم. ١٤٢٧هـ) بعنوان: المسؤولية الأمنية للمؤسسات الاجتماعية.
وقد أشارت الدراسة إلى أن المسؤولية الأمنية هي مسؤولية كل فردٍ من أفراد المجتمع، وكل مؤسسةٍ من مؤسساته على اعتبار أن الأمن يمثل الركيزة الأساسية لنمو المجتمع ونهضته وتقدمه، كما أكدت الدراسة أن جانبًا كبيرًا من المسؤولية عن حفظ الأمن واستتبابه في المجتمع يقع على المؤسسات التعليمية الرسمية المتمثلة في المدرسة والجامعة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالأسرة والمسجد ووسائل الإعلام، وأن دورها يُعد دورًا وقائيًا يمكن أن يتحقق من خلال رفع مستوى درجة الوعي الأمني والاجتماعي الذي يمكن من خلاله وقاية المجتمع – بإذن الله تعالى – من الانحراف والفساد والجريمة.

ثانيًا: الإطار النظري

• المحور الأول: المقصود بالأمن الفكري، وأهميته، وأبرز ضوابطه:

أولاً: المقصود بالأمن الفكري

يُعد مصطلح الأمن الفكري مصطلحًا حديثًا ومعاصرًا، ولذلك فإن المعاجم اللغوية لم تشتمل على تعريفٍ مُحدد له.
وهو مُصطلحٌ مركَّب، فهو يجمع بين جانبين هامين في حياة الأفراد والمجتمعات، وهما (الأمن)، و(الفِكر)؛ فكلمة الأمن تعني: «طمأنينة النفس وزوال الخوف، ويُجعل الأمان تارةً اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً اسمًا لما يُؤمن عليه الإنسان» (١).
وهناك من يرى أن «الأمن ضد الخوف» (٢).
وقد يُقصد بالأمن" الاستقرار والأمان والطمأنينة التي يشعر بها الفرد والمجتمع، وفي ظله تستطيع الأُمة أن تتفرغ للبناء والتطوير في مختلف مجالات الحياة" (٣).
كما أن هناك من يُقصد بالأمن «الشعور بالسلامة والاطمئنان، واختفاء أسباب الخوف على حياة الإنسان، وما تقوم به هذه الحياة من مصالح يسعى

إلى تحقيقها، ويستهدفها بطموحاته» [٤].

أما الفكر فيعني: «جملة النشاط الذهني»، وقد يُقصد به «الصورة الذهنية لأمرٍ ما» [٥].

وقد يُقصد بالفكر «إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول» [٦].

والمعنى أن الإنسان السوي مُطالبٌ بإعمال الفكر الصحيح البناء في مختلف شؤون حياته الفردية والمجتمعية على اعتبار أن «للفكر علاقةٌ وثقى بالأنشطة والسلوكيات الإنسانية، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وأن الفكر السوي أسمى نشاط ذهني وإنساني، كما أن الانحرافات والنشاطات المُضرة بمصالح الناس، ومقاصد الشرع يكون وراءها فكرٌ معتلٌ ومسموم ومغشوش» [٧].

وانطلاقًا مما سبق من المعاني والتعريفات المختلفة؛ فإنه يمكن الخروج من مجموعها بتوضيحٍ للمقصود بمصطلح الأمن الفكري الذي يُعرفه أحد الباحثين بقوله:

«الأمن الفكري يعني بكل بساطة: أن يعيش الناس في بُلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم، آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية» [٨].

وقد يُقصد بالأمن الفكري «حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوانٌ أو ينزل بها أذى»[٩].

وقد يُعبّر عنه بأنه: «سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون» [١٠].

وهناك من الباحثين من يرى أن الأمن الفكري يشتمل بالإضافة إلى حفظ العقل ومقوماته على "حفظ الثقافة ومكوناتها من الغزو الفكري، أو المُصادرة، أو التحريف والتزوير" [١١].

وختامًا، فإنه يمكن الوصول من مجموع التعريفات السابقة إلى التعريف الذي يراه الباحث لمصطلح الأمن الفكري والذي يتمثل في صيانة وحماية فكر أبناء المجتمع، وثقافتهم، وقيمهم، وكل شأنهم من أي فكرٍ مُنحرفٍ، أو دخيلٍ، أو وافدٍ، أو مستورد لا يتفق (انغلاقًا أو انفتاحًا) مع الثوابت والمنطلقات الرئيسة والأصيلة له.

ثانيًا: أهمية الأمن الفكري

تنطلق أهمية الأمن الفكري على وجه الخصوص من أهمية الأمن العام أو الشامل الذي يُعد واحدًا من أبرز وأهم المطالب الرئيسة للحياة الآمنة المُستقرة التي ينشدها الإنسان في أي زمانٍ ومكان، كما أنه (أي الأمن الشامل) من جملة الحاجات الضرورية والرئيسة التي لا يستغني عنها الفرد والمجتمع، وهو ما يُشير إليه أحد الباحثين بقوله:" يقع الأمن في المرتبة الثانية من سُلم أولويات الحاجات الضرورية لدى عُلماء النفس والاجتماع" [١٢].

وليس هذا فحسب؛ فهناك من الباحثين والكُتاب من يرى أن الحاجة إلى الأمن تسبق ذلك الترتيب حيث إن" الأمن للإنسان قد يكون أهم من طعامه وشرابه، ومن حُريته في حياته الخاصة؛ فقد يجوع ويعطش فيصبر، ولا يرى أن شيئًا قد فاته، ولكنه يخاف فلا يكاد يهنأ براحة بالٍ ولا يهدأ له حال، وقد يرضى أن يجعل حريته ثمنًا لأمنه إذا اقتضى الأمر ذلك، فيُفضل أن يكون عبدًا آمنًا على أن يكون حُرًا خائفًا" [٨].

والمعنى أن الحاجة إلى توافر الأمن العام أو الشامل في مختلف جوانب الحياة الفردية والجماعية ضروريةٌ ولازمةٌ، فلا يستطيع الإنسان مزاولة ومُمارسة مجريات حياته إلا في وجود الأمن الذي يمكن أن نعده مطلبًا حيويًا، وعلى قدرٍ كبيرٍ من الأهمية في حياة الإنسان فهو "المطلب الضروري لنمو الحياة الاجتماعية واطّراد تقدُمها، فكل

نشاطٍ تجاريٍ أو صناعيٍ، وكل تقدمٍ اقتصادي، بل كل ترفيهٍ اجتماعي لا بُد له من الأمن كشرطٍ أساسي"(٧).

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم الأمن العام أو الشامل يُعد مفهومًا واسعًا، وتندرج تحته أنواعٍ عديدة من المفاهيم ذات العلاقة بمختلف جوانب حياة الإنسان والمجتمع، فهناك الأمن الديني، والأمن السياسي، والأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن البيئي، والأمن الجنائي، والأمن الصحي، والأمن النفسي، والأمن الغذائي، والأمن الوطني، والأمن القومي، والأمن الداخلي، والأمن الخارجي، والأمن الفكري، وغيرها؛ إلا أن الحاجة إلى الأمن الفكري تبدو أكثر بروزًا في هذا العصر لأسبابٍ عديدةٍ يأتي من أبرزها ما يلي:

أ. أن معظم الدوافع الخلفية نحو مُمارسة الجريمة تنطلق في الأساس من الجانب الفكري عند الإنسان، ومدى ما لديه من القناعات والمبادئ والقيم التي تستمد أدلتها من رصيده وقناعاته الفكرية الراسخة في نفسه، وهو ما يؤكده أحد الكتّاب بقوله: «إن الجريمة ترتبط بفكر الإنسان ارتباطًا مُطردًا من حيث المبدأ، ولا يُقدِّم عليها أو يمتنع عنها إلا على أساسٍ من هذا الارتباط" (١٨).

ب. اختلاف طبيعة الحياة المُعاصرة التي تنوعت فيها منافذ الغزو، وتعددت فيها محاولات الاختراق والتشويش، وكثُرت فيها العوامل المؤدية إلى الإخلال بالأمن سواءً أكان ذلك بمحاولات الاختراق أو التشويش أو الهيمنة والاستلاب على مُستوى الفرد أو المجتمع؛ ولذلك فإن الأمن الفكري يأتي" على رأس قائمة الغايات الهامة، لتكون حماية المجتمع عامةً والشباب خاصةً في البلاد المُسلمة من الأفكار الدخيلة الهدّامة واجبًا شرعيًا، وفريضةً دينية" (١٣).

ج. أن الجانب الفكري في حياة الإنسان جانبٌ رئيسٌ ووثيق الصلة ببقية الجوانب الأُخرى؛ إذ إن إحساس الإنسان بالأمن الفكري في حياته ومجتمعه يسمح للإنسان بأداء مهام الاستخلاف في الأرض على النحو الصحيح، ويؤهله لذلك، وهو ما يُعبِّر عنه أحد الباحثين بقوله: «فالفكر السليم بمثابة العمود الفقري، وحجر الزاوية للأمن الاجتماعي، وله علاقةٌ بكل الميادين المختلفة، ذلك أن الفكر المُنضبط والمُلتزم ينبثق عنه استقامة حياة الناس وأمنهم، ويُجسد التلازم بين المُقدمات والنتائج»(٧). والمعنى أن الأمن الفكري يُمثل رصيدًا في مواجهة مختلف التحديات التي تواجه الأفراد والمجتمعات، كما أنه من أبرز وأهم مقومات الحياة في المجتمع، يُضاف إلى ذلك أنه مُقرِرٌ لطبيعة وكيفية التواصل بين المجتمع وبين غيره من المجتمعات الأُخرى.

د. أن الأمن الفكري يُعنى في المقام الأول بتحقيق التلاحم المطلوب والوحدة المنشودة بين أبناء المجتمع الواحد، الأمر الذي يترتب عليه وقايتهم وحمايتهم – بإذن الله تعالى من دواعي الخلاف والشتات والفُرقة، وتأكيد هويتهم الرئيسة التي تُعد أهم مقومات حياتهم؛ ولأنه متى تحقق الأمن الفكري في مجتمعٍ ما كان فيه الضمانٌ والحماية – بإذن الله تعالى – من أخطر أنواع الغزو الذي تتعرض له المجتمعات في الماضي والحاضر، ألا وهو الغزو الفكري الذي يُعد أشرس أنواع الغزو وأكثرها خطورةً وفتكًا بالمجتمعات ومُكتسباتها، وهو ما يؤكده أحد الكُتّاب بقوله:

«فالغزو العسكري هو آخر المراحل، وهو أهونها.. أما الغزو الحقيقي، فهو الغزو الفكري، ذلك الذي يُخرِّب المعنويات، ويُدَّمر النفوس، ويُحيل الأُمم إلى أعجاز نخلٍ خاوية»(١٤).

من هنا، فإنه يمكن تلخيص أبرز جوانب أهمية

الأمن الفكري في مجموعة النقاط التالية:

١. أن الأمن الفكري يُعد من الركائز الأساسية لبناء الشخصيات والمجتمعات على حدٍ سواء، فهو بمثابة العمود الفقري والمنطلق الرئيس للأمن العام أو الشامل.

٢. أنه الأداة الرئيسة والوسيلة الفاعلة لحفظ وحماية هوية المجتمع من الاستلاب والذوبان والضياع، ولاسيما في عصر العولمة الذي يُعنى باختراق كل مجالات الحياة لفرض الأنموذج العالمي الموحد.

٣. أنه وسيلة فاعلةٌ وإيجابيةٌ لمنع أي اختراق ثقافي أو غزو فكري أو معلوماتي للمجتمع بما فيه ومن فيه.

٤. أنه يجمع بين كونه مسؤولية مُشتركةٌ بين الفرد والمجتمع؛ حيث تقع مسؤوليته على عاتق كل فردٍ من أفراد المجتمع، وهو في الوقت نفسه مسؤولية المجتمع بعامة.

٥. أن الأمن الفكري يؤكد تحقق معنى الوعي الأمني الإيجابي الذي يعني"إدراك الفرد لذاته، وإدراكه للظروف الأمنية المُحيطة به، وتكوين اتجاه عقلي إيجابي نحو الموضوعات الأمنية العامة للمجتمع" (١٥).

٦. أنه حلٌ جذريٌ لكثيرٍ من الأزمات المعاصرة ولاسيما الأزمة الفكرية التي ترتبط بفلسفة العنف في المجتمعات المُعاصرة.

٧. أنه عاملٌ رئيسٌ في توفير الاطمئنان النفسي والاستقرار الاجتماعي الأمر الذي يؤدي إلى الإسهام الفعلي في توافر أسباب الرُقي الحضاري والاجتماعي.

٨. أن الأمن الفكري يوفر مبدأ التعايش الإنساني، ويُحقق المعنى الحقيقي للسلام العالمي بين المجتمعات البشرية.

٩. أن الأمن الفكري يوفر مقومات المستقبل الأفضل، ويُسهم في صناعة حياة الأجيال القادمة على النحو المطلوب فهو" المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته" (١٣).

ثالثًا: ضوابط الأمن الفكري

يحتاج الأمن الفكري إلى بعض الضوابط التي يُقصد بها كما جاء في المعجم" ما يَضبُط ويُنظِّم من القواعد أو المبادئ" (١٦). والتي لا غنى عنها وعن توافرها حتى يتحقق ويؤتي ثـماره اليانعة التي تُسهم بفعاليةٍ في تربية النفوس وبناء المجتمعات، وتحقيق ما تصبو إليه من النماء والازدهار والرقي الحضاري.

ونظراً لأن هناك الكثير من الضوابط المتنوعة التي يمكن من خلالها تحقيق الأمن الفكري في المجتمع بعامة؛ فإنه يمكن تقسيم هذه الضوابط إلى أربعة أقسام رئيسة، هي:

أ. الضوابط الشرعية: ويُقصد بها مجموعة الأحكام الشرعية التي تُشكِّل الأطر المرجعية الدينية التي تتحكم وتُسيطر وتوجِّه نوعية وأداء الممارسات الفكرية عند أفراد المجتمع، ومنها:

١. أن يُحقق المصالح الدينية والدنيوية للأفراد والمجتمعات على حدٍ سواء.

٢. أن يستند إلى مرجعية دينية واضحة تنطلق من أصولٍ ثابتةٍ ومصادر رئيسةٍ لتحديد معالمه وأبعاده ومنطلقاته الرئيسة.

٣. أن يُحقق الوسطية المطلوبة، والاعتدال الواعي في فهم مختلف جوانب الحياة المعاصرة وكيفية التعامل معها قبولاً أو رفضًا.

٤. أن يُكون شاملاً لمختلف جوانب الحياة وشتى مناحيها، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بأن يكون "طريقًا لتحقيق الأمن بمفهومه الشامل بعيدًا عن الازدواجية والفوضى الفكرية والاجتماعية" (١٣).

ب. الضوابط العلمية والمعرفية: ويُقصد بها

مجموعة القواعد أو المبادئ التي تُمثل المنطلقات الفكرية والمرجعية العلمية القادرة على التحكم والسيطرة والتوجِّيه الصحيح لنوعية الممارسات الفكرية وكيفية أدائها عند أفراد المجتمع، ومنها:

١. أن يتصف بالحكمة التي يُقصد بها الخضوع للرؤية العلمية العقلية القائمة على الأدلة والبراهين الثابتة الصحيحة.

٢. أن يتصف بالموضوعية التي تعني قدرة الأفراد في المجتمع على الاستقلالية الفكرية بعيدًا عن التحيز والذاتية، وعدم الخضوع للأهواء المختلفة والرغبات الشخصية.

٣. أن يكون مرنًا وقادرًا على مُسايرة المتغيرات المختلفة والمُتسارعة في الواقع المعاصر الذي قرُبت فيه المسافات، وزالت كثيرٌ من الحواجز الإقليمية والحدودية بين المجتمعات.

٤. أن يُحقق ما يُعرف بالانفتاح الواعي على ثقافات وحضارات الآخرين، بمعنى أن يأخذ منها ما كان إيجابيًا ونافعًا ولازمًا، ولاسيما أن" الفصل ما بين الحكمة التي هي ضالة المؤمن والفكر الضار بالأُمة لا يكون واضحًا لكل أحدٍ في كل حين، إذ لا يملك ذلك الفهم إلا المؤهلون القادرون على ذلك" (١٧).

ج. الضوابط الاجتماعية: ويُقصد بها مجموعة القواعد أو المبادئ والقيم الحياتية التي يمكن من خلالها تحديد وضبط نوعية الممارسات الفكرية، إلى جانب التنظيم والتوجيه لكيفية أدائها عند أفراد المجتمع، ومنها:

١. أن يُسهم بفعاليةٍ في تحقيق الأمن العام والشامل في المجتمع؛ إذ إن "اختلال الأمن الفكري مؤدٍ إلى اختلال الأُمة في الجوانب الأُخرى: الجنائية والاقتصادية وغيرها" (١٧).

٢. أن يُوفر البيئة الملائمة للتنمية الشاملة والمتكاملة التي يحتاجها الأفراد والمجتمع في حياتهم الحالية والمستقبلية.

٣. أن يُسهم في إقامة العلاقات الاجتماعية الحسنة، ومد جسور المحبة والأُلفة بين أفراد المجتمع وفئاته المختلفة كالتعارف، والتعاون، والتسامح، والتآخي، والتعايش، ونحو ذلك.

٤. أن يتمشى في مجمله مع المصالح العامة التي يحتاجها الأفراد خاصةً والمجتمع عامة، وهو بذلك يُمثل حمايةً لأهم المكتسبات المادية والمعنوية في حياة الأفراد والمجتمعات.

٥. أن يُسهم في ضبط ومُعالجة الظواهر السلبية الاجتماعية كالعنف والجريمة والإدمان والتطرف ونحو ذلك مما تشتكي منه المجتمعات المُعاصرة.

٦. أن يوفر مناخًا ملائمًا لتناول وطرح مشكلات المجتمع القائمة بنوعٍ من الحرية في الطرح، وأن يُسهم في معالجتها تبعًا لظروف وإمكانات المجتمع.

٧. أن يكون له أثرًا واضحًا في توحيد الصفوف، ولم الشمل، وتحقيق ما يُعرف بالوحدة الوطنية الشاملة بين أبناء المجتمع، وأن يحرص على تفعيل وزيادة الانتماء بين أفراد المجتمع وفئاته المختلفة.

د. الضوابط الأخلاقية: ويُقصد بها القواعد أو المبادئ والقيم الأخلاقية التي تتحكم وتُسيطر وتوجِّه نوعية وأداء الممارسات الفكرية عند أفراد المجتمع، وتعمل على تنظيمها، ومنها:

١. أن يُعنى بالحفاظ على مختلف الجوانب الإيجابية في مكونات ومُقومات ثقافة المجتمع الأصيلة، وأن يعمل على حمايتها من الضياع والذوبان.

٢. أن يكون له أثرًا واضحًا في غرس قيم الانتماء والولاء للدين ثم الوطن.

٣. أن ينطلق من إطارٍ مرجعيٍ ثابتٍ راسخ يمكن أن يحكم سلوك ومُمارسات الأفراد في المجتمع.

٤. أن يقوم على مبدأ إتاحة الفرصة للحوار البناء،

والنقاش الإيجابي المُشترك بين الجميع، وأن تُحترم جميع الآراء ووجهات النظر.

المحور الثاني: المقصود بالجامعة وأهميتها

أولاً: المقصود بالجامعة

يرجع أصل كلمة (الجامعة) إلى اللغة اللاتينية كما تُشيـــر إلى ذلك بعض المراجع؛ إذ إن "كلمة الجامعة University مأخوذٌ من كلمة Universitas، وتعني الاتحاد الذي يضم ويجمع القوى ذات النفوذ في مجال السياسة، من أجل مُمارسة السُلطة" (٤).

وهناك من يرى أن كلمة الجامعة" تدل على التجمع العلمي لكلٍ من الأساتذة والطلاب" (٤).

وقد جاء في المعجم أن الجامعة "مجموعة معاهد علمية تُسمى كليات، تُدرَّس فيها الآداب والفنون والعلوم بعد مرحلة الدراسة الثانوية" (٦).

وقد تُعرّف الجامعة بأنها "مؤسسة تعليمية تحتوي على مجموعةٍ من الكُليات، يؤمها الطلبة والأساتذة والعُلماء والباحثون الذين ينشُدون المعرفة ويدرسون المجتمع ومُشكلاته بأسلوبٍ علمي، مُستعينةٍ بالمكتبات وبمصادر المعلومات الأُخرى من مختبراتٍ ومعامل ودراساتٍ ميدانية، وغيرها" (١٨).

ومما سبق يمكن الخلوص إلى أن الجامعة مؤسسةٌ تربوية تعليمية توجد في المجتمع وتخدم أبناءه، وتُنمي ثقافتهم، وترفع مستوى وعيهم؛ لكونها تضم بين جنباتها – في الغالب – صفوة أبناء المجتمع علمًا وفكرًا ووعيًا، ولأنها تُعنى بكل ما من شأنه بناء وتنمية وتطوير المجتمع في مختلف المجالات الحياتية المعاصرة، ولاسيما إن الجامعة تُمثل – في حد ذاتها – منظومةً تعليميةً وتربوية مُستقلة؛ إلا أنها في الوقت نفسه جزءٌ من منظومة المجتمع التربوية التي تتولى في مجموعها مسؤولية التربية والتعليم والرعاية والتنمية سواءً على المستوى الفردي أو الاجتماعي.

ثانيًا: أهمية الجامعة

تحتل الجامعات بعامة مكانةً مرموقةً ومنزلةً عالية في مختلف المجتمعات القديمة والمُعاصرة؛ حيث إن "الجامعة بمفاهيمها الحديثة في الإدارة والتنظيم والتخطيط والتقويم، وبوظائفها في البحث والتدريس وخدمة المجتمع، وبرسالتها في المحافظة على ثقافة الأُمة وتجديدها ونشرها والعمل على تنميتها، ليست وليدة اليوم ولا الأمس القريب؛ وإنما وراء ذلك تاريخٌ طويلٌ من فكرٍ وعملٍ ومُمارسات، حيث تضرب فكرة الجامعة بجذورها في أعماق التاريخ"(١٩).

وانطلاقًا من ذلك التاريخ، فإن الجامعة تتبوأ منذ القدم مكان الصدارة في المجتمع " فهي مركز شعاعٍ لكل جديدٍ من الفكر والمعرفة، والمنبر الذي تنطلق منه آراء المفكرين الأحرار والعلماء والفلاسفة ورواد الإصلاح والتطور" (١٩).

وتبرز أهمية الجامعة في أنها تُمثل قمة المنظومة التعليمية في واقعنا المعاصر، ونهاية المطاف التعليمي النظامي بالنسبة للطلاب والدارسين من الجنسين في مختلف المجالات والميادين العلمية والمعرفية، ولكونها تُشكل حجر الزاوية للعملية التنموية في المجتمع، والمؤشر الرئيس لتقدم الشعوب وازدهارها؛ فقد أصبحت الجامعات المُعاصرة تُمثل أحد أهم مراكز صناعة القرار الثقافي والحضاري، وموطن رسم التوجهات الإستراتيجية للمجتمعات؛ ولاسيما أن النخب الجامعية أصبحت تُعد من القيادات الفاعلة والمؤثرة في المجتمعات المعاصرة.

واعتبارًا لهذا الدور الريادي الذي تقوم به الجامعات وما في حكمها من المؤسسات التعليمية والمراكز البحثية ونحوها، وما تشهده بين حينٍ وآخر من تغيراتٍ جذريةٍ في أهدافها ونظمها وأشكالها، وما تواجهه من تحديات بحكم حجم الطلب عليها،

والوسائل المتاحة لها، ومستوى المنافسة بينها؛ فإنها تُعد إحدى الركائز الأساسية التي تعتمد عليها المجتمعات المعاصرة والإنسانية كلها لتحقيق آمالها في التقدم والرخاء.

وليس هذا فحسب، فإن الجامعة تُعنى إلى حدٍ كبيرٍ بغرس وتنمية القيم والمبادئ والاتجاهات السلوكية الإيجابية عند طلابها من ناحية، والتصدي للقيم والمبادئ والأفكار والاتجاهات غير المتناسبة مع عقيدة وثقافة وحاجات المجتمع من ناحيةٍ أُخرى.

المحور الثالث: دور الجامعة كمؤسسةٍ تربوية في المجتمع

من المعلوم أن المجتمع يعتمد اعتمادًا كبيرًا على مؤسساته المختلفة في تربية أفراده، وتعليمهم، وتوعيتهم، وتثقيفهم، وتحقيق مصالحهم المختلفة التي تكفل لهم الحياة الكريمة، وإعدادهم للتكيف المطلوب مع مختلف الظروف الزمانية والمكانية والتنموية، وعن طريق هذه المؤسسات التربوية يتم نقل كل ما يحتاجه أفراد المجتمع من العقائد، والأفكار، والثقافات، والمعارف، والخبرات، والمهارات، ونحوها من جيلٍ إلى جيل.

ونظرًا لكثرة مُتطلبات الحياة واحتياجاتها، واختلاف الظروف والمتغيرات الزمانية والمكانية والمعيشية، وتنوع الثقافات والحضارات التي عرفتها البشرية؛ فقد تنوعت أشكال وأنماط هذه المؤسسات التربوية التي كانت تنشأ ــ في الغالب ــ استجابةً لحاجةٍ محددةٍ، أو ظروفٍ معينة؛ الأمر الذي عُرفت معه العديد من المؤسسات بدءًا بالأُسرة، ومرورًا بالمؤسسات التعليمية على اختلاف أنواعها ومراحلها، وانتهاءً ببقية المؤسسات المجتمعية الأُخرى كالمؤسسات الدعوية، والثقافية، والوظيفية، والإعلامية، والأمنية، والترويحية، وغيرها.

وانطلاقًا من ذلك تأتي الجامعة في مقدمة المؤسسات الاجتماعية التربوية المعنية بالتأثير في حياة الأفراد والمجتمعات، إذ إنها تُعد "مؤسسةً اجتماعيةً تؤثر في الجو الاجتماعي المُحيط بها، وتتأثر به، فهي من صنع قياداته الفنية والمهنية والسياسية والفكرية"(٤).

وفيما يلي تسليطٌ للضوء على الجامعة من زاويتين رئيستين هما:

أولاً: الجامعة مؤسسة اجتماعية تربوية

تُمثل الجامعة قمة المنظومة التعليمية في واقعنا المعاصر، ونهاية المطاف التعليمي النظامي بالنسبة للطلاب والدارسين من الجنسين في مختلف المجالات والميادين العلمية والمعرفية، وانطلاقًا من تلك المكانة المرموقة للجامعة فإن الدول في الوقت الحاضر تعدُها «رمزًا لنهضتها وتقدُمها، وعنوانًا على يقظتها وحضارتها ورُقيها، ومحورًا جوهريًا تدور حوله الحياة الثقافية بمعناها العام والشامل» (٢٠).

وهي واحدةٌ من أهم وأبرز المؤسسات التي لجأت إليها المجتمعات الحديثة لتلبية العديد من المتطلبات والحاجات حيث «تحمل الجامعات مسؤولية تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، وريادة البحث العلمي في المجالات العلمية والأدبية والتقنية، وتضطلعُ بإعداد المهارات البشرية اللازمة للإسهام في تحمل مسؤوليات الحياة الاجتماعية والمهنية في مواقع العمل المختلفة بالمجتمع» (٢١).

وهذا يعني أن للجامعة أدوارًا مختلفةً، ووظائف حيويةٍ متنوعة تقوم بها في خدمة ورقي المجتمع، وتسهم من خلالها في أداء رسالتها الرئيسة في حياة الأفراد والمجتمعات منذ القدم.

وعلى الرغم من تنوع واختلاف تلك الوظائف التي تقوم بها الجامعة تبعًا لاختلاف البيئات والفلسفات والظروف الزمانية والمكانية التي تُحيط بها؛ إلا أنه

يمكن القول أنها استقرت في نهاية المطاف على" ثلاث وظائف رئيسية هي:

١. التدريس.
٢. البحث.
٣. خدمة المجتمع.

وعلى الرغم من تصنيف الفكر التربوي لوظائف الجامعة في هذه المجالات الثلاثة؛ إلا أن هذا الفكر يؤكد أنها وظائف مُتكاملة ومُترابطة(١٩).

وليس هذا فحسب، فمن المؤكد أن كل وظيفةٍ من وظائف الجامعة تخدم الوظيفة الأُخرى بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة؛ إذ إن البحث العلمي يخدم عملية التدريس، وكلاً من البحث العلمي والتدريس يشتركان في خدمة المجتمع من خلال ما تُقدمه الجامعة من برامج وأنشطةٍ وفعالياتٍ متنوعة تُسهم من خلالها في تلمُس احتياجات المجتمع، ومحاولة تلبيتها وتوفيرها بما يتلاءم ويتواءم مع أوضاع المجتمع وظروفه وإمكاناته.

ثانيًا: أدوار الجامعة ووظائفها

يقع على مسؤولية الجامعة العديد من الأدوار أو الوظائف أو المهام الحيوية التي تتنوع وتتشعب تبعًا لنوعية الأهداف التي تسعى لتحقيقها في المجتمع المعاصر، ووفقًا للظروف المختلفة التي تتحكم فيها إمكانات المجتمع واحتياجاته الحالية والمُستقبلية.

ويأتي من أبرز هذه الأدوار والوظائف والمهام ما يلي:

١. الدور التثقيفي والمعرفي: ويُقصد بذلك «كل ما تُقدمه الجامعات من جهودٍ علميةٍ لتثقيف الأفراد المُلتحقين بها» (٢٢).

وهو دورٌ حيوي يمتاز بالاستمرارية؛ فهو لا يتوقف عند حدٍ معين. ويُعد – في الغالب – من المهام الأساسية للجامعة في أي مجتمعٍ من المجتمعات المعاصرة انطلاقًا من كونها واحدةً من أهم وأبرز المراكز الرئيسة في المجتمع، والتي تُعنى بإثراء المعرفة وتنميتها ونشر الثقافة العامة ورفع مستوى الوعي العام.

وهنا لا بُد من التأكيد على أن الجامعات تعتمد في قيامها بهذا الدور على من لديها من الأساتذة المُتخصصين في شتى أنواع العلوم، وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس، والباحثين، والدارسين، وطلبة العلم الذين يُسهمون إسهامًا مُباشرًا في هذا الدور الحيوي بما يقدمونه من المحاضرات، وما يُلقونه من الدروس، وما يُنظمونه من الندوات، وما يعقدونه من اللقاءات،وما يؤلفونه من الكتب والمطبوعات والمؤلفات المتنوعة، وما يكتبونه ويعكفون عليه من إعداد الأبحاث والدراسات والموضوعات في مختلف المجالات العلمية والميادين المعرفية سواءً أكانت نظريةً أو عملية. يُضاف إلى ذلك ما يشاركون به من النشاطات، والإسهامات، والمُشاركات المتنوعة فرديةً كانت أم جماعية في مختلف القطاعات المجتمعية الأُخرى. كما أن هذا الدور يحظى باهتمامٍ متزايدٍ وعنايةٍ مُستمرةٍ من القائمين على الجامعات، نظرًا لأهمية الجانب الثقافي بعامة في حياة الأفراد والمجتمعات، وضرورته اللازمة لحُسن أداء الجامعات لمختلف مهامها الأخرى.

٢. الدور التوظيفي: يُقصد بهذا الدور «كل ما تُقدمه الجامعات من جهودٍ علميةٍ لإعداد الأفراد المُلتحقين بها لسوق العمل» (٢٢).

وهو دورٌ رئيسٌ وقديم، ويحتل مكانةً بارزةً بين مجموع أدوار ووظائف الجامعات، ويمتاز بأنه دورٌ مُتجدد لأن ما تمر به المجتمعات المعاصرة من تغيراتٍ وتطورات مُتسارعة في شتى المجالات «يستدعي إعادة تدريب المختصين من جديد حتى يتوافقوا مع كل جديدٍ في ميادين أعمالهم» (٤).

وهذا يعني أن "الجامعة وهي تقوم بهذا العمل تحرص دائمًا على أن تُعيد النظر في برامجها ومُقرراتها في ضوء المُتغيرات التي تجري في المجتمع من حولها، وذلك حتى تُخرِّج فئاتٍ من المتخصصين الذين تُلائم تخصُصاتهم حاجات المجتمع وتوقعاته منهم" (٤).

٣. العناية بالبحث العلمي الهادف: وهو الدور الذي يُعد من الوظائف والمهام الأساسية للجامعة؛ حيث تُشير كثيرٌ من المراجع العلمية إلى أنه "تقع على الجامعة مسؤوليةٌ كُبرى فيما يتعلق بتنمية المعرفة، وإنمائها، وتطويرها، عن طريق نشاطات البحث العلمي وبرامجه" (١٨).

وهذا يعني أن الجامعات تُعد المكان الأول والبيئة الطبيعية للبحث العلمي بسبب وجود البيئة اللازمة والمهيأة لهذا الشأن حيث يتوافر الدعم المادي والمعنوي، إضافةً إلى الاختصاصيين والباحثين والمساعدين، إلى جانب توافر مستلزمات البحث العلمي من المختبرات، والمكتبات، والدوريات، والمراجع، وغيرها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن "ازدهار البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي يتطلب مُناخًا مُلائمًا ودعمًا قويًا من قِبل إدارة عُليا تؤمن بأهمية الابتكار والاكتشاف، وترغب في تشجيع البحث وتكريم القائمين به" (٢٣).

وليس هذا فحسب؛ فإن طبيعة البحث العلمي تُعد من أهم واجبات عضو هيئة التدريس في الجامعات، كما أن طلبة الدراسات العليا يُسهمون إسهامًا فاعلاً في تنشيط حركة البحث العلمي في الجامعات. وهذا يعني أن للبحث العلمي في الجامعات دورٌ رئيسٌ يتمثل في ضرورة الاهتمام والعناية بتشجيعه بشقيه (النظري والميداني)، ويتبع لذلك تشجيع حركة التأليف والترجمة العلمية والنشر، وتقديم الخبرات والاستشارات في مختلف المجالات العلمية.

٤. الإسهام في خدمة المجتمع والنهوض به وحل مُشكلاته: ويُقصد بهذا الدور "كل ما تقوم به الجامعات من أنشطةٍ وخدماتٍ تتوجه بها أصلاً إلى غير منسوبيها – من طلابٍ أو أعضاء هيئة تدريس – من أفراد المجتمع وجماعاته وتنظيماته ومؤسساته" (١٩).

والجامعة بذلك تعمل على الانفتاح على المجتمع، ومحاولة النهوض الحضاري بمختلف قطاعاته ومرافقه ومؤسساته، كما أنها تُسهم من خلال هذا الدور في حل مُشكلاته ومُتابعة قضاياه المُتجددة، وتجتهد في توفير وتحقيق الرخاء والنماء والرفاهية لأفراده.

اللافت للنظر أن هذه الوظيفة تُعد – إلى حدٍ ما – حديثةً على العمل الجامعي (ولاسيما في عالمنا العربي) قياسًا بالوظائف والمهام الرئيسة الأخرى. كما أنها تأتي – في الغالب – لتُعبِّر عن مجموعةٍ من الأهداف المتنوعة للجامعات التي تتحدد تبعًا لمدى انفتاح الجامعة على المجتمع وعنايتها بما فيه ومن فيه.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من انتشار تعبير أو مصطلح خدمة المجتمع؛ إلا إنه" كثيرًا ما يحل تعبير (الخدمة العامة) في الأدب التربوي محل تعبير (خدمة المجتمع)، ويُعد تعبير الخدمة العامة أكثر تحديدًا من تعبير خدمة المجتمع للدلالة على الوظيفة الثالثة من وظائف الجامعة" (١٩).

٥. إعداد القيادات والكفاءات البشرية المُتخصصة: ويُقصد بهذا الدور إعداد القيادات الفكرية والعلمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية وغيرها من القيادات الاجتماعية التي نعلم جميعًا أنه ليس لها كلياتٍ مُتخصصة لتخريج أصحابها كما هو معروف.

وعلى الرغم من أن هذا الدور أو هذه الوظيفة – كما يُشيـــر إلى ذلك أحد الباحثين – تُعد "وظيفةً غير مُباشرةٍ للجامعة" (٤)؛ إلا أن كل فردٍ من أصحاب هذه القيادات الاجتماعية لا بد وأن يكون قد تلقى (في الغالب) جزءً من تعليمه وتكوينه الفكري والاجتماعي في الجامعة؛ فيكون لها بذلك دورٌ في إعداده.

وهذا يعني أن "نشاط الجامعة اليوم لم يعُد مقصورًا على الدراسات النظرية البحتة وحدها، وإنما امتد إلى الدراسات التطبيقية، وإعداد وتدريب الكفاءات الفنية المطلوبة للمجتمع في مختلف المجالات" (١٢).

المحور الرابع: دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري

تنطلق علاقة الجامعة بقضايا المجتمع من كونها مؤسسة تربويةٌ اجتماعية لها قدرةٌ كبيرة على التأثير في المحيط الاجتماعي الذي توجد فيه، وبخاصةٍ أنها المؤسسة التعليمية الاجتماعية التي تأتي في قمة الهرم التعليمي، والتي تُعد بمثابة المصانع التي يتم فيها تكوين الرجال وتوجيه الطاقات البشرية التي تقع على عواتقهم عملية التطوير والتقدم والنماء والازدهار في أي مجتمعٍ من المجتمعات.

كما أن الجامعة تُعد جزءًا من الكيان الاجتماعي العام الذي لا شك أنه يتأثر سلبًا أو إيجابًا – ولاسيما في وقتنا المعاصر – بمختلف القوى، والعوامل، والمؤثرات، والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأمنية ونحوها؛ الأمر الذي يفرض عليها أن تُسهم بفعاليةٍ في خدمة المجتمع عن طريق البحث في حاجاته، والاستجابة لمطالبه وضرورياته، والعمل على معالجة قضاياه المختلفة.

من هنا فإن الجامعة تتحمل جزءًا كبيرًا من مسؤولية حماية المجتمع من كل فكرٍ ضالٍ أو مُنحرف من خلال ما ينبغي أن تقوم به من أدوارٍ عظيمةٍ ومهامٍ جسيمة في "صنع سياجٍ أمنيٍ يُحصِّن الشباب من كل فكرٍ دخيلٍ، ويُعزز انتماءهم لدينهم وأُمتهم ووطنهم، ويجعلهم أكثر قدرةً على الحفاظ على هوية الأُمة وثقافتها وقيمها ومُثلها، وأكثر وعيًا بأخطار الفكر التكفيري، وكل فكرٍ هدّامٍ" (٢٤).

وفيما يلي طرح تصورٍ عامٍ للدور الذي يمكن للجامعة أن تقوم به في سبيل تحقيق الأمن الفكري، والذي يمكن تناوله على النحو التالي:

أولاً: الدور التعليمي والتوعوي: ويشمل العناية بتوعية وتعريف الطلاب بمعنى ومفهوم الأمن الفكري، وتوضيح أهمية الأمن الفكري، وفهم ضوابطه، وتعرُّف أسبابه ومراحله، وتسليط الضوء على مختلف العوامل التي تُسهم في تحققه لدى طلاب الجامعة.

ثانيًا: الدور الوقائي: ويُقصد به توفير الحماية الفكرية اللازمة والمناسبة للطلاب الجامعيين بالشكل الذي يمكن أن يحول دون وقوعهم في المحاذير، أو انزلاقهم إلى هوة الأفكار الخاطئة وما يترتب عليها من أخطارٍ.

وهو دورٌ يمكن تحقيقه من خلال:

أ. تعريف الطلاب بالفكر الصحيح حتى يأخذوا به ويعملون بمُقتضاه في شتى المجالات والميادين الحياتية.

ب. تبصير الطلاب بسلبيات غياب الأمن الفكري، وما ينتج عنه من انحرافٍ فكريٍ له الكثير من المخاطر والمفاسد الفردية والاجتماعية.

ثالثًا: الدور التصحيحي (العلاجي): وهو دورٌ يُقصد به تصحيح أو علاج ما حصل عند بعض الطلاب من انحرافاتٍ فكريةٍ أو مفاهيم مغلوطة تكون مُهيمنةً على أفكارهم، وقد تدفعُهم إلى الانحراف الفكري فتنجم عنه نتائج سلبيةٍ ومؤسفة سواءً على

المستوى الفردي أو الاجتماعي.

وهنا تجدُر الإشارة على أن هذه الأدوار يمكن أن تتحقق من خلال قيام العناصر الأساسية في منظومة التعليم الجامعي بأدوارها المنوطة بها، وتتمثل هذه العناصر فيما يلي:

أ. الأستاذ الجامعي: وهو أهم العناصر والركائز التي تقوم عليها العملية التعليمية الجامعية؛ حيث إنه يقوم بالعديد من المهام والوظائف العلمية والتعليمية والبحثية التي تُشكل في مجموعها طبيعة عمله الجامعي.

وهو في الوقت نفسه يتولى جانبًا هامًا من جوانب تثقيف المجتمع بمن فيه وما فيه من خلال عنايته بتدعيم القيم والمبادئ والاتجاهات الحسنة والإيجابية التي يتبناها هذا المجتمع، وتصديه الواعي لكل ما كان دخيلاً، أو مستوردًا، أو منحرفًا من الأفكار، والقيم، والمبادئ، التي تضر بهذا المجتمع، وتؤثر سلبيًا على فكر أبنائه بأي صورةٍ من الصور.

وبناءً على ذلك فإنه يمكن توضيح دور الأستاذ الجامعي في تحقيق الأمن الفكري من خلال الاهتمام بما يلي:

١. أن يكون قدوةً حسنةً في قوله وعمله ونيته وكل شأنه، ولاسيما أنه يقوم بدور المُربي والأب والقائد والموجِّه لمن يتعامل معه من الطلاب وغيرهم في داخل المحيط الجامعي.

٢. أن يكون أمينًا في أداء رسالته العظيمة التي تفرض عليه استشعار أهميتها، وأدائها بمهنيةٍ عالية، وأن يسعى من خلالها إلى تحقيق أمن واستقرار الوطن، والحرص على سمعته وحفظ مكانته بين المجتمعات الإنسانية الأُخرى.

٣. أن يغتنم ساعات لقائه بالطلاب في قاعات الدراسة وغيرها في تقديم ما يمكن تقديمه لهم من المعلومات والمعارف والخبرات العلمية والعملية، التي تُنبئ عن تمكنه العلمي وسعة اطلاعه وحرصه على كل جديد ومفيد في تخصصه.

٤. أن يحرص على القيام بدوره التوعوي المُلقى على عاتقه في جانب التوجيه والإرشاد للطلاب والدارسين انطلاقًا من شعوره بوجوب دلالتهم على الخير، وتوجيههم إليه، وتحذيرهم من الشر، وتجنيبهم إياه، وحثهم على تقويم وتصحيح السلوكيات الخاطئة لديهم.

٥. أن يتميز بالأمانة الفكرية والعلمية من خلال بحثه المستمر عن الحقائق واجتهاده الدائم في معرفتها بحياديةٍ وموضوعية، دونما خضوع لهوى النفس، أو التعصب الفكري، أو نحو ذلك.

٦. أن يُشارك بدورٍ فاعلٍ وإيجابي في التواصل مع طلاب الجامعة من خلال تنويع مشاركاته في الحملات التوعوية والوقائية الموجهة للطلاب وغيرهم من فئات المجتمع ولاسيما في مواجهة التيارات والتحديات والحملات الفكرية الضالة أو المنحرفة.

٧. أن يحرص على التنويع والتطوير الإيجابي في الوسائل والأساليب التعليمية التي يستخدمها (تدريسًا أو بحثًا) مع طلابه، بأن تعتمد في المقام الأول على مخاطبة الفكر الناضج، وتنمية القدرات الذهنية الواعية.

٨. أن يسعى لإكساب طلابه مختلف المهارات العقلية والعلمية التي تُنمي عندهم مهارات التفكير العلمي الناقد، والقدرة على التمييز بين الحق والباطل والضار والنافع.

٩. أن يُسهم في ترسيخ المفهوم الصحيح للمواطنة الحقة عند الطلاب، وغرس أهمية المبادئ السامية التي تُحقق ذلك كالتسامح والتعايُش والوسطية والاعتدال والبُعد عن الغلو والتطرف.

١٠. أن يُسهم في المناشط والفعاليات المتنوعة لبقية

المؤسسات الأُخرى في المجتمع، وأن يحرص خلالها على تمثيل الجامعة ومنسوبيها خير تمثيل بما يُقدمه من إسهاماتٍ ومُشاركاتٍ ورؤى وغير ذلك.

ب. المناهج والمُقررات الجامعية: وهي أحد أهم العناصر الأساسية التي تعتمد عليها العملية التعليمية الجامعية، وتشتمل على المضمون العلمي والعملي، والخبرات التعليمية التي يتم تقديمها للطلاب سواءً أكانت داخل قاعات الدراسة أو خارجها، والتي يمكن من خلالها ترجمة أهداف العملية التعليمية إلى مواقف تعليمية يمكن قياسها وتقويمها.

ويمكن توضيح دور المناهج والمقررات الجامعية في تحقيق الأمن الفكري من خلال الاهتمام بما يلي:

١. أن تكون منبثقةً من طبيعة حياة المجتمع وحاجاته ومتطلباته، ومُحققةً لآماله وتطلعاته، وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت متوافقةً مع عقيدة وفكر المجتمع، ومتناسقة مع نُظمه وتوجهاته، ومنسجمةً مع آماله وطموحاته، وغير متعارضةٍ أو مُصادمةً لثقافته وأهدافه وآماله وطموحاته.

٢. العمل على تحديث موضوعات المناهج والمقررات الجامعية في مختلف المراحل والمستويات والتخصصات الجامعية حتى تكون متوافقة ومُسايرةً لمختلف التغيرات التي تستلزمها تطورات الحياة المعاصرة في شتى المجالات والميادين الحياتية.

٣. إخضاع المحتوى العلمي للمقررات الجامعية في جميع التخصصات للمراجعة العلمية الفاحصة التي تستهدف تخليصها من كل ما من شأنه ترسيخ معاني ومظاهر الفكر المنحرف وما يترتب عليه من تنمية ثقافة العنف والتطرف والعدوان والجريمة.

٤. أن تُسهم المناهج والمقررات الجامعية في إكساب طلاب الجامعة صدق الانتماء والولاء لدينه ولوطنه، والتأكيد على ارتباط الطالب بوطنه، واعتزازه بتاريخه، وفخره بمعطياته في شتى المجالات والميادين.

٥. أن تعمل على توسيع دائرة الكيفية التي يمكن للطالب الجامعي من خلالها الحصول على المعلومات والمعارف العلمية والمعرفية ولاسيما الفكرية منها، وعدم حصرها في الكتاب المقرر كوعاءٍ وحيدٍ يمكن الرجوع إليه في هذا الشأن.

٦. تكثيف الأنشطة التعليمية ولاسيما التطبيقية منها وربطها المباشر بكل مقرر تدريسي في المرحلة الجامعية، وبذلك يمكن أن تكون في مجموعها مكملةً للمحتوى العلمي المنشود.

٧. الأخذ بفكرة تضمين بعض قضايا وموضوعات الأمن الفكري المعاصرة في سياق مختلف المناهج والمقررات الدراسية الجامعية بطريقةٍ علميةٍ، ومنهجيةٍ مقبولة تتيح للطالب حُسن الفهم والاستيعاب.

٨. أن يتحقق من خلالها تنمية وتطوير قدرات الطالب الجامعي على تحكيم العقل في مختلف القضايا، والقدرة على التفكير الموضوعي، وحُسن استخدام المنهج العلمي في الحصول على المعارف واكتشاف الحقائق ومعالجة القضايا والمشكلات المختلفة.

٩. أن تُساعد الطالب الجامعي على متابعة تطوير ذاته ومعارفه ومفاهيمه ومهاراته من خلال ما يُعرف حديثًا باسم التعلُم الذاتي الذي يستمر معه طول حياته.

١٠. أن تعمل على بث القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحث على احترام رجال الأمن وتقدير مهامهم، والاستعداد للتعاون الإيجابي معهم ومع المؤسسات الأمنية المختلفة في المجتمع.

ج. الطالب الجامعي: يُعد محور العملية التعليمية

الجامعية، وهو الموضوع المباشر للعملية التربوية بين أسوار الجامعة بحيث يتمكن خلالها من استكمال نمو شخصيته في مختلف جوانبها الجسمية، والعقلية، والروحية، واكتساب ما يحتاج إليه من المهارات، والمعارف، والقدرات، والعمل على تطويرها وتنميتها من خلال مختلف البرامج والمناشط العلمية والعملية في الجامعة.

كما أن الطالب الجامعي يُعد المُستهدف الأول لتحقيق الأمن الفكري، ولاسيما أنه يمكن أن يكون مصدرًا من مصادر تحقيقه وتوافره في المجتمع، وليس مجرد مستقبلاً لما يُنقل إليه.

وبناءً على ذلك فإنه يمكن توضيح دور الطالب الجامعي في تحقيق الأمن الفكري من خلال الاهتمام بما يلي:

١. العناية بتحصيل المعلومات والمعارف المختلفة ولاسيما في الجانب الفكري سواءً من أساتذة الجامعة، أو من المصادر العلمية الأُخرى داخل الجامعة لتكون إضافةً إيجابيةً إلى الرصيد العلمي والفكري، والمخزون المعرفي عند الطالب.

٢. الحرص على المشاركة الإيجابية في مختلف الأنشطة الطلابية الممكنة التي تُنظمها الجامعة لطلابها والتي يمكن من خلالها تعرف القيم والمبادئ والمُثل الصحيحة وممارستها ولاسيما أن التعليم يُعد – نظريًا كان أو عمليًا – بمثابة المدخل الطبيعي لتثبيتها وتعميقها في النفوس.

٣. التدرب على كل ما من شأنه تقوية روح المسؤولية الفردية والجماعية والولاء الصادق والانتماء الحق للوطن، والمحافظة على مكتسباته، والاستعداد للمشاركة في حفظ أمنه وسلامته، والتضحية من أجله.

٤. العمل على فتح باب الحوار والنقاش الفكري المُتزن مع من حوله من الأساتذة والزملاء والرفاق الذين يمكن من خلال النقاش معهم الاستماع إلى كثيرٍ من وجهات النظر والآراء المختلفة، وفي ذلك إثراءٌ للجانب العقلي والفكري عنده.

٥. اكتساب مهارة البحث العلمي الجاد، والتزود بما يلزم ذلك من المهارات والخبرات العلمية والعملية الكفيلة بتأهيله لمواجهة مختلف المشكلات الاجتماعية ولاسيما الفكرية منها، والإسهام الفعلي في بحثها والتأمل فيها، والعمل على علاجها أو إيجاد الحلول المناسبة لها.

٦. الحرص على تنويع المصادر العلمية والمعرفية التي يمكن من خلالها الحصول على المعلومات والمعارف والعلوم المطلوبة للتحصيل العلمي ولاسيما في الجانب الفكري، لما في ذلك من تنميةٍ للقدرات، وشحذٍ للأذهان، والتدرب التدريجي على التمييز والمقارنة وحُسن الاستنباط، ومن ثم الوصول إلى النتائج المنشودة.

٧. الإسهام في إعداد المطويات والنشرات والملصقات التوعوية حول مختلف القضايا ذات العلاقة بالأمن الفكري، والعمل على توزيعها في مختلف المناسبات لنشر الوعي المطلوب في الوسط الجامعي.

٨. الإفادة من برامج النشاط الطلابي داخل أسوار الجامعة في تقديم البرامج التوعوية الخاصة بالتثقيف الأمني بين الطلاب من خلال إعداد المسابقات والمناشط المتنوعة التي تستهدف نشر الوعي اللازم بأهمية الأمن الفكري وضرورته لكل أفراد المجتمع، وربط ذلك بالمفاهيم الدينية والثقافية والمعرفية والسلوكية ونحوها.

٩. استشعار الواجب الأمني المتمثل في الوعي اللازم بضرورة الحرص واليقظة الفردية، وعدم السكوت عن ما قد يُثير الريبة أو الشكوك من الجرائم أو المظاهر السلوكية المنحرفة عن الصواب والتي

توحي أو تُشير إلى وجود ما قد يُخل أو يؤثر على الأمن الفكري خاصةً، أو الأمن الشامل عامة.

١٠. الانضمام إلى الجمعيات الطلابية الجامعية التي تُعنى بالتثقيف الأمني وتعمل على نشر التوعية الأمنية في الوسط الطلابي الجامعي، والحرص على الإسهام الجاد والفاعل في أنشطتها وفعالياتها.

د. الأنشطة الطلابية الجامعية: تأتي الأنشطة الطلابية الجامعية من أهم الحقول التي ينبغي الاهتمام بها لشغل وقت الفراغ عند الطلاب، ولتحقيق الإفادة المرجوة من طاقاتهم ومواهبهم واستعداداتهم المختلفة التي تُسهم بفعالية في تحقيق الأهداف العامة للعملية التعليمية الجامعية.

وحيث إن الأنشطة الطلابية الجامعية تشمل تلك البرامج التعليمية التي لا تكون – في الغالب – مفروضةً على الطلاب؛ إلا أنهم يُقبلون عليها برغبتهم المحضة لغرض إشباع ميولهم، أو تنمية مداركهم، أو صقل مواهبهم، أو نحو ذلك، الأمر الذي يُميزها ويجعل الإقبال عليها منطلقًا من الدوافع الذاتية عند الطلاب أنفسهم. وبناءً على ذلك فإنه يمكن توضيح دور الأنشطة الطلابية الجامعية في تحقيق الأمن الفكري من خلال الاهتمام بما يلي:

١. أن يُعتنى بتنظيم الأنشطة الطلابية داخل وخارج الجامعة، لما تُسهم به هذه الأنشطة من أدوارٍ فاعلةٍ في ترجمة الأفكار والمفاهيم وتحويلها إلى سلوكياتٍ وممارساتٍ حياتية، ويأتي من أبرزها تعزيز مفهوم الأمن الفكري وحمايته لدى طلاب الجامعة سواءً على المستوى الفردي أو الاجتماعي.

٢. أن تكون هذه الأنشطة تحت إشراف ورعاية وتنظيم من يوثق في دينه وأمانته وعلمه وخُلقه من أعضاء هيئة التدريس المؤهلين الذين يقومون على إعداد برامجها وتنظيم فعالياتها بمساعدة الطلاب من مختلف المستويات والتخصصات الجامعية.

٣. أن تعمل هذه الأنشطة في مجموعها على تأصيل وعي طلاب الجامعة بمختلف القيم الإيجابية التي تسعى الجامعة إلى تحقيقها وغرسها في نفوس الطلاب داخل أسوارها، والتي – لا شك – أنه سيكون لها بعض الانعكاسات الإيجابية على المجتمع بعامة.

٤. أن يتم توجيه الأنشطة لتوجيه وإرشاد طلاب الجامعة إلى الوسائل الأولية التي تحول بينهم وبين الوقوع في المحاذير والأخطار الناجمة عن تأثير الرفقة السيئة، ومُحاولة الاجتهاد في تعرُف الدلالات المختلفة، وقراءة العلامات والمؤشرات الخفية فردية كانت أو مجتمعية – مهما كانت ضعيفة –، والتي تُنذر باحتمال وقوع الخطر.

٥. أن تشجع هذه الأنشطة الطلاب على تعزيز مبدأ الحوار المفتوح، والتعبير الصريح عن وجهات نظرهم وطرح آرائهم بكل شجاعةٍ وجرأة ما دامت تهدف إلى تحقيق الأهداف المنشودة والغايات المأمولة.

٦. أن يتم ربط الأنشطة الجامعية الطلابية بالأحداث والمناسبات المجتمعية التي يعيشها أفراد المجتمع ويتفاعلون معها على مدار العام الدراسي، وأن يُعتنى من خلالها بمناقشة القضايا الرئيسة في تناولٍ موضوعي وطرحٍ جذاب.

٧. أن تكون الأنشطة الجامعية مناسبةً لمستويات الطلاب ومراعيةً لمستوياتهم الفكرية والعُمرية، وأن تُراعي رغباتهم وميولهم حتى يتحقق التفاعل المطلوب والمنشود من تنظيمها.

٨. أن تهتم هذه الأنشطة بنشر الوعي الفكري الصحيح الذي يمكن من خلاله كشف زيف المذاهب والتيارات الفكرية الدخيلة والهدامة والتصدي لها بالحُجة والبرهان سواءً أكان ذلك بطرقٍ مُباشرةٍ أو غير مباشرة.

٩. أن تُتاح الفرصة للشباب الجامعي من خلال هذه الأنشطة حتى يُمارسوا أثناء فترة دراستهم الجامعية بعضًا من الأنشطة التطوعية والأمنية في مختلف المؤسسات والمرافق المجتمعية الأُخرى ومن ثم يمكن مساعدتهم على اكتشاف ما يمكن لهم تأديته من الأدوار المتنوعة في خدمة المجتمع.

١٠.أن تعمل هذه الأنشطة على مد جسور التعاون الفاعل بين الطلاب الجامعيين من جهة، والمؤسسات الأمنية من جهةٍ أُخرى من خلال القيام بالزيارات الميدانية، والعمل على تبادل المعلومات ذات العلاقة، وإعداد البرامج التوعوية والوقائية المُشتركة بين الجامعة وغيرها من المؤسسات الأمنية المختلفة للعمل على إرشاد الطلاب وتوجيههم ومُساعدتهم على فهم بعض مُشكلاتهم وعلاجها بما يُناسبها من الحلول والخطوات الإجرائية.

التوصيات

توصي هذه الدراسة بما يلي:

١. ضرورة اهتمام الجامعة عبر مختلف قنواتها الإدارية والعلمية والبحثية والخدمية بنشر الثقافة الأمنية الواعية عند منسوبيها من الأساتذة والطلاب، ولاسيما فيما يخص الأمن الفكري ؛ إذ إن الجامعة تُمثل – في الغالب – رأس الحربة في مقاومة مختلف أنواع الانحرافات في المجتمع والتصدي لـــها.

٢. التركيز على ربط طلاب الجامعة بالثوابت الدينية، والمبادئ الصحيحة، والمنطلقات الرئيسة التي ينبغي على الجامعة تكثيف العناية بها والاهتمام بتدريسها، وعدم التهاون في ذلك لكونها السبيل الأمثل للمحافظة على صحة العقيدة، واعتدال المنهج، وأصالة الثقافة، وسلامة الفكر، ومن ثم تحقيق سعادة الحياة.

٣. تفعيل عمليات التبادل الثقافي بين الجامعات في الداخل وبين نظيراتها في الخارج، ولاسيما فيما يخص بعض المستجدات المعاصرة كالأمن الفكري ونحوه، لتنشيط ثقافة أعضاء هيئة التدريس والطلاب وغيرهم، ونقل خبراتهم، والإفادة من تجاربهم ورؤاهم في هذا الشأن.

٤. أهمية العناية بنشر الوعي الأمني الصحيح ولاسيما الأمن الفكري بين طلاب الجامعة ليكونوا أكثر وعيًا بمخاطر وسلبيات الانحراف الفكري، وليكونوا قادرين على حماية أنفسهم ومجتمعهم من كل فكرٍ دخيلٍ أو هدّام أو مستورد، وعلى استعدادٍ للتصدي له وكشف زيفه ودحض شبهته.

٥. التأكيد على مضاعفة الجهود داخل وخارج الجامعة للإسهام الإيجابي في شغل وقت الفراغ بالجديد والمفيد في حياة أبناء المجتمع، ولاسيما من الشباب الذين يكونون عُرضةً لحملات الغزو الفكري على اختلاف أنواعها، وما تشتمل عليه من دعواتٍ تستهدف فساد العقائد، وتمييع الهوية، ومسخ الشخصية، وتغيير نمط الحياة، ونحو ذلك.

٦. أهمية توثيق الصلة ومد جسور التعاون والتفاعل الإيجابي بين الجامعة وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأُخرى، ولاسيما المؤسسات الأمنية للإسهام المُشترك في التصدي المُبكر لكل ما من شأنه الإخلال بالأمن الفكري للمجتمع.

٧. ضرورة إجراء بعض الدراسات المماثلة لتسليط الضوء على دور مدارس التعليم العام وغيرها من المؤسسات الثقافية الأخرى في المجتمع في تحقيق الأمن الفكري.

المراجع

١. الراغب الأصفهاني، مُفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٢. محمد بن أبي بكرٍ بن عبد القادر الرازي، مُختار

الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
٣. سالم بن مستهيل شماس، دراسات في علم النفس والصحة النفسية (رؤيةٌ مُعاصرة). دار الكتب الجامعية الحديثة، شبين الكوم، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٤. علي راشد، الجامعة والتدريس الجامعي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٥. مجمع اللغة العربية، المُعجم الوجيز، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت: (د. ت).
٦. أحمد العايد و آخرون. المُعجم العربي الأساسي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. لاروس، تونس، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٧. علي بن فايز الجحني، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الإصدار رقم (٢٥٤)، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٨. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.
٩. أحمد علي المجذوب، الأمن الفكري والعقائدي: مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه. ضمن مادة كتاب نحو استراتيجيةٍ عربيةٍ للتدريب في الميادين الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٥٠٨هـ.
١٠. سعيد بن مسفر الوادعي، الأمن الفكري الإسلامي. مجلة الأمن والحياة. العدد ١٨٧، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: ١٤١٨هـ.
١١. عبد الله بن حلفان بن عبد الله آل عايش، التربية الأمنية في الإسلام (الحل الأمثل للفتن). دار المحبة، دمشق، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
١٢. محمد عبد الله آل ناجي، المسئولية الأمنية للجامعات ومراكز البحث العلمي. ضمن سجل البحوث والأوراق العلمية المقدمة في ندوة المجتمع والأمن في دورتها السنوية الثالثة المنعقدة خلال الفترة من ٢١ – ٢٤ / ٢ / ١٤٢٥هـ الموافق ١١ – ١٤ إبريل ٢٠٠٤م. ج ٢. كلية الملك فهد الأمنية، مركز البحوث والدراسات، الرياض،
١٣. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، الشريعة الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الفكري. ضمن كتاب الأمن الفكري. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – مركز الدراسات والبحوث، الإصدار رقم ٣٦٦، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٤. محمد جلال كشك، الغزو الفكري، ط ٤، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
١٥. بركة بن زامل الحوشان، الوعي الأمني، وزارة الداخلية، كلية الملك فهد الأمنية، مركز البحوث والدراسات، الرياض، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١٦. المُنجد في اللغة العربية المُعاصرة. ط ٢. دار المشرق، بيروت، ٢٠٠١ م.
١٧. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الأمن الفكري: ماهيته و ضوابطه. ضمن كتاب الأمن الفكري. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – مركز الدراسات والبحوث، الإصدار رقم ٣٦٦، الرياض، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٨. سالم محمد السالم، واقع البحث العلمي في الجامعات: دراسة لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، الرياض، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
١٩. عبد العزيز عبد الله السُنبل، ونور الدين محمد عبد الجواد، الأدوار المطلوبة من جامعات دول

الخليج العربية في مجال خدمة المجتمع. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٢٠. نبيل عبد الخالق متولي، وآخران، المدخل في أصول التربية، مكتبة الرُشد، الرياض، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢١. عبد المحسن بن سعد الداود، التعليم العالي في المملكة العربية السعودية (بداياته وتطوره)، دار أراكان للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢٢. عبد الله بن عبد اللطيف الجبر، دور الجامعة بين التثقيف والتوظيف (دراسةٌ ميدانية). حولية كلية التربية، جامعة قطر، كلية التربية، السنة ١٧، العدد ١٧، الدوحة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢٣. سعد عبد الله بردي الزهراني، التخطيط الاستراتيجي لمؤسسات التعليم العالي. جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التُراث الإسلامي، مركز البحوث التربوية والنفسية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.

٢٤. حجاب بن يحيى الحازمي، الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية. ضمن سلسلة كتيب المجلة العربية. الرقم ١٠٤، الرياض، شعبان ١٤٢٦هـ / سبتمبر ٢٠٠٥م.

التاريخ وتفسير العالم؛ المفكرون الأوربيون والوعي بالتحولات الكبرى

History and Interpretation of the world western intellectuals and aworeness of the major transformations

أ. د. إسماعيل نوري الربيعي*

Prf. Ismail Norri Mseer*

ملخص

كيف يمكن النظر إلى التاريخ؟ هل بوصفه القيمة التي تنطوي على الحدث، و ما ينجم عنه من نتائج وعواقب، أم هو طريقة في النظر، يكون الأصل فيها استبعاد كل ما يتعلق بالاستعلاء على الآخر.هذا بحساب أن العصور والشعوب، كان لها الدور والحضور في تشكيله، وترسيم المعالم الرئيسة والفاعلة فيه. والواقع أن التفحص العميق في قراءة الحقبة التاريخية، والبحث في جذور تشكلات الذهنية الجمعية لشعب ما، يقود بداهة، إلى انعدام الجاهزية لمعايير الحكم، التي يعمد إليها البعض من الدارسين حول التقييم العام والشامل للأمم والحضارات المختلفة. فيما يشير منطق التاريخ إلى أنه وعلى الرغم من الجمع والشمول الذي تتصف به الممارسة الحضارية لمجمل الأمم والحضارات في تكوين التاريخ البشري، إلا أن ملمح الخصوصية لكل أمة، يبقى فارداً بحضوره الكثيف، على أهمية الكشف عن مركز الفعل والحث في كل عصر وفي كل أمة. إنها النسبية تلك التي يكون لها المساهمة الأكيدة، في نبذ إطلاق التعميمات، والساعية بكل ما لديها للبحث في الروح الإنسانية، حيث مركز الخير والنماء والسعادة

Abstract

How can history be looked at? Can it be considered the value of the event, and what results from it? Or is it the way we look into it in such a way avoiding looking at other down. This is considering that time and people played the main role in shaping it. But the reality in that the deep look into the historical period and in the mental formation of any certain people leads to diminishing evaluation principles which scholars relay on in evaluating peoples and civilizations. . meanwhile, the logic of time indicates that despite its holistic nature of civilization, each nation and people have their own peculiarities that is distinct from others. It is that relativity that has the certain contribution in searching within the humanity soul deep where there is good, prosperity and .happiness

* الجامعة الأهلية ــ مملكة البحرين.

* Ahlia University - Bahrin Kingdom.

مقدمة

كيف يمكن تفسير العالم؟ هذا هو السؤال الأثير، الذي تحتشد خلفه المزيد من الأسئلة الفرعية، فيما يتمركز البحث حول مهمة التاريخ وعلاقتها الوطيدة في التفاصيل التي يزخر بها العالم، حيث الثنائية القائمة بين الإنسان والممارسة، والطموح والرغبة في السعي نحو اختبار الحقيقة.

قدم الإنسان منجزه المعرفي والحضاري، على مدى العصور المختلفة، حتى كان تفاعله مع المضامين الدينية والأخلاقية، فيما كان نتاجه الثر على صعيد الفن والإدارة والاقتصاد والقضاء والسياسة والفلسفة، حتى كان المعنى الذي وضعه الإنسان في التاريخ، وقد تجلى من خلال أحوال التتابع التي تقوم عليها الحضارات المتنوعة حيث (روح العالم)، وما يقوم عليه من تجانس في المعاني. وبالقدر الذي تنفتح فيه الصورة الحضارية لأمة ما، ويبلغ التعبير فيها مداه الأقصى، حول المعاني والتجارب والمقاصد، فإن مفتاح الوعي فيها ولها، يبقى يقوم على أهمية الكشف عن الروح الثقافية في العصر التاريخي. فإذا كان الإغريق قد تميزوا بالفلسفة، أو ما تميزت به الحضارة الرومانية بالاعتماد على القوانين، فإن التحقيب التاريخي يبقى يلوذ بالتوصيف الأعم، حيث عصور السادة والعبيد، وعصور الأخلاق والتقوى، فإن الرابط الأصل في كل هذا يبقى يقوم على أهمية النظر العميق في فكرة التقدم، حيث المسعى نحو الحياة التي يعيش في كنفها الإنسان بسعادة وحرية ورخاء وأمن، وهذا بالتحديد ما ينطوي عليه دور الجيل الذي يعيش العصر التاريخي، فيما يبقى اللاحق من الزمن وقد أشار إلى أحوال التقدم والامتيازات التي ينعم بها الجيل اللاحق، إنها العلاقة القائمة بين (الما قبل والمابعد)، حيث مسيرة التاريخ التي تتجه إلى الأمام.

التحولات الأوربية

شهدت أوربا تحولات كبرى في مجال المكتشفات والمخترعات، حتى أن البعض منها قد ساهم وإلى حد بعيد في كسر القاعدة التي اعتاد الناس أن يتعاملوا فيها مع الظواهر العامة.فعلى سبيل المثال كان اكتشاف المطبعة على يد الألماني «غوتنبرغ» عام ١٤٥٠م قد أرسى نمطاً جديداً من التعامل مع مفهوم الثقافة. فبعد أن كانت محصورة على «النخبة» أضحت شائعة عامة يسيرة التداول بيد الفئات الشعبية[١] في حين أن اكتشاف «البارود « كان قد ساهم وبشكل مباشر في وضع النهاية التاريخية للدور الذي لعبه سلاح الفرسان، خلال العصور الوسطى، لتتبدى الأهمية لفئات جديدة، لم تكن منظورة في المرحلة السابقة على صعيد الطبقات الاجتماعية. أما «البوصلة فكان لها الأثر المباشر في حركة الكشوفات الجغرافية، والانفتاح الواسع على العالم حيث الاتصال المكثف بالحضارات الأخرى وزيادة التبادل السلعي والثقافي. وكان الحضور الأهم فيها اكتشاف العالم الجديد على يد « كولمبس» عام١٤٩٢م [٢].

وهكذا تحسست فكرة التقدم خطواتها عبر ثلاث ثورات معرفية كبرى تجلت بوضوح في نظرية كوبرنيك ١٥٤٣م، الذي أثبت بالدليل العلمي على مركزية الشمس، والتأكيد على أن الأرض مجرد تابع يدور حولها. فكانت الاستتباعات المفاهيمية الرافضة للمفهوم اللاهوتي المثالي، وجعل العلوم الطبيعية مستقلة عنها. فيما جاءت حركة الاحتجاج (البروتستانتية) على يد «مارتن لوثر» ١٥٤٦م، الذي فصل ما بين الأفعال الحسنة والإيمان الفردي. عامداً إلي تحديد مكثف عند الإنسان يقوم

على ثنائية[٣] الروح والجسد ومن هنا انطلقت آراء نظرية الإصلاح الديني، التي توجهت برفضها نحو السلطات الدينية الممثلة بالبابا، والسلطات الزمنية الممثلة بالإمبراطور الألماني[٤]. وجاءت حركة المادية الجديدة والعلم التجريبي، لتؤكد مسار التفكير المنطقي، وتحدد ملامح المنهج الاستقرائي، حيث التأكيد على تطبيق المفردات المنهجية المتتابعة من أجل الوصول إلى تفسير الظواهر في الطبيعة. وكانت هذه الحركة قد وجهت أسهم نقدها إلى القياس المنطقي القديم، حيث كانت المسألة الأهم المثارة، قد تركزت في أن الأسس التي يقوم عليها المنطق الأرسطي[٣]، إنما تتداخل فيه أنساق المقدمات والنتائج، بحيث أن الأفكار الموضوعة للدرس والتشريح، إنما تكون ذات طبيعة مسبقة. وهكذا تم الاتجاه نحو تقديم الأهمية بالنسبة للملاحظة والتجربة المباشرة في نطاق الطبيعة. ويعد (فرنسيس بيكون) ١٦٢٦م من أبرز رواد هذا الاتجاه، الذي عمد إلى صياغة نظرية الأوهام ومدى ارتباطها بالعقل، محدداً إياها في أربعة أنماط سلبية، ممثلة في؛ أوهام القبيلة والمرتبطة بالعقل الجمعي للجنس البشري عموماً. أوهام الكهف المرتبط بالعقل الفردي ومؤثرات البيئة والأعراف والتقاليد التي نشأ فيها في تحديد آرائه وانطباعاته حول الظواهر. أوهام[٥] السوق ذات الارتباط المباشر بالدلالات التي تحملها اللغة، وتأثيرات الاستخدام السلبي لها في إثارة الإشكاليات. أوهام المسرح المرتبطة بقبول الأفكار والنظريات من دون تروٍ أو تمحيص، أو هيمنة الأفكار القديمة على الواقع مما يجعل منها عقبة كأداء في سبيل الوصول إلى الحقيقة.

لم يتوقف بيكون عند تحديد الأنماط السلبية، بل عمد إلي صياغة نظريته الاستقرائية استناداً إلى أربع قواعد إيجابية، منطلقاً في تأسيسه. على أن الطبيعة وعلى الرغم من صورتها المعقدة، تحمل في ذاتها صوراً وطبائع بسيطة. ومن أجل الوصول إلى إكتناه هذه الصور البسيطة لابد من الاعتماد على التحليل. ومن خلال الملاحظة. يتمكن من رصد الظواهر المرتبطة بالطبيعة التي تظهر في حالات متعددة[٦]، وإزاء هذا التعدد لابد الاستناد إلى «الاستقراء» الذي سيكون بمثابة الأداة الموصلة إلى الحالة الحقيقية للظاهرة. ومن خلال رصد الظواهر السلبية، يمكن التوصل إلى تحديد الحالة الإيجابية. وإذا ما كان المنطق الأرسطي قد حدد المعنى استناداً إلى العلل الأربعة؛ (المادية، الصورية، الفاعلية، الغائية) أي أن الوصول إلى الصورة يتم عن طريق المنطق باعتبار وجودها في العالم التجريبي. أو أن أفلاطون أشار إلى أن التوصل إليها يتم عن طريق الجدل الصاعد باعتبار وجودها في عالم المثل. فأن المنهج التجريبي أكد على أن الطبيعة يمكن أن تنتج عدة طبائع جديدة، وعلى هذا فأنها تنطوي على طبيعة بسيطة [٧]. وهكذا فإن العلوم ستكون مجال تطبيق المنهج الاستقرائي، الذي سيحدد موجهات الكشف والبرهان في تحديد طبيعة الظواهر. والأساس الذي يقوم عليه هذا المنهج إنما يعتمد على حالتين؛ الأولى وتتمثل في رفض القانون لجميع الملاحظات الإيجابية التي تم التوصل إليها،إذا ما ظهرت حالة سلبية واحدة فيه. أما الثانية فأنها تقوم على رفض جميع القوانين المعارضة من أجل الوصول إلى إثبات القانون الجديد.

لقد أسهمت هذه الأفكار في بلورة رؤية جديدة، تمثلت منطلقاتها، في توصيف تاريخي عمد إليه مؤرخو الفكر وهو (عصر الأنوار)، الذي تجلت معطياته المعرفية في جملة من التصورات كان

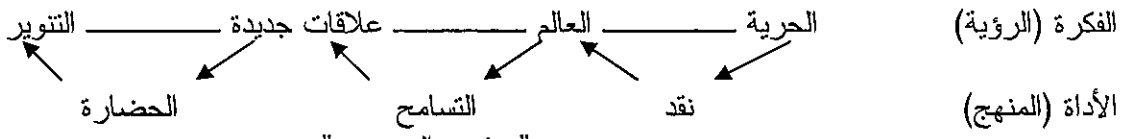

* مخطط تكويني معرفي لفكرة التنوير *

الأهم من بينها. التأكيد على أهمية حرية التفكير، واعتبارها الأساس الذي يدعم تفاعلات العقل من أجل الوصول إلى منطق كشف معرفي وعلمي جديد. وهكذا صار النزوع نحو نقد الأصول والثوابت، وتفكيك مرتكزاتها التقليدية، من أجل التوصل إلى فرز بنى فكرية ومعرفية جديدة، تكون بمثابة وحدات صغرى للبحث والتقصي ونبذ الشوائب والعوالق والتصورات المسبقة. وهذا استدعى هدماً لمرتكزات الرؤية السابقة المستندة إلى مركزية التاريخ الأوربي، القائم على مرتكزات الإنجاز لعنصر واحد ممثل بالإنسان الأوربي، أو الادعاء بأن التاريخ الحقيقي ما هو إلا حكر على العناصر الاثنية التي عاشت في الوسيط الجغرافي الممثل بقارة أوربا والذي يبدأ مستهله باليونان فالرومان وصولاً إلى التاريخ الأوروبي الحديث[٨]. وكان للرؤية الجديدة دورها الفاعل في تحديد معالم النظرة القديمة القاصرة والمبتسرة المستندة إلى منطق التجمد والنكوص اللاهوتي والعرقي. فيما كان الإلحاح على أهمية العناية، بما وسعته الحياة من أنشطة وتفاعلات غير الحروب والسياسة، أو الهزائم و الانتصارات[٩]. من خلال التأكيد على أهمية دور العقل في بناء التاريخ. وهكذا فإن قراءة التاريخ الجديدة قوامها الانطلاق من ترسيخ مفهوم الحضارة بشكله العام والشمولي.

حفزت رؤية التنوير التطلع نحو منهج «الحضارة» انطلاقاً من مبدأ التكامل ما بين البعدين الفردي والجماعي. وهكذا تبلورت الرؤية للتآلف ما بين الموجهات المتطلعة نحو العمق والسطح، الداخلي والخارجي. ولكن يتبقى السؤال الأهم متعلق، بطبيعة الأهداف المرتبطة بالفرد العميقة أو الداخلية. انطلاقاً من المحدد المرتبط؛ «غاية الحضارة» والمدى الذي يكمن فيه، تركز أوجه أنشطتها وفعالياتها فيه. وإلى أي حد[١٠] يمكن الوثوق بتجديد العلاقة القائمة ما بين المنجز الخارجي للحضارة وحالة التكامل الروحي بالنسبة للفرد.

كانت الأديان الشرقية القديمة، قد استندت في رؤاها حول الكون انطلاقاً من أصل واحد ممثل بالجانب الأخلاقي. من هنا كانت النظرة المتعارضة مع الحياة، حيث التركيز على الباطن (الأخلاقي) مقابل إهمال للخارجي (الحضاري) فالإيمان الأكثر حضوراً كان يبرز في وحدة الوجود والحلول.وهكذا انبنت تعاليم كونفشيوس ٤٧٩ ق.م في الصين و«بوذا» ٤٨٠ق.م في الهند[١١]. أما الأديان السماوية فأنها استندت إلى رؤية قوامها ثنائية «الطبيعي والأخلاقي». وباعتبار التنازع ما بين المبدأين، أقرت الأديان السماوية بأن النتيجة النهائية ستكون لصالح الأخلاقي، باعتباره قوة باطنة، وهكذا فأنها ستكون في مكانة أسمى من المبدأ الطبيعي. اعتماداً على مبدأ (الإيمان) كقوة أخلاقية تكون دافعيتها «فوق الطبيعة»، حيث الكمال المنشود. من هنا تم حصر فكرة التقدم بروحية متفائلة نحو إصلاح العالم في غاية عليا.

وباعتبار التفاعل ما بين الباطن والظاهر، الأخلاقي والطبيعي، فأن عملية التحول الطبيعي، لابد أن تتوجه نحو تنظيم البنية الاجتماعية.

على صعيد الشواغل العقلية التي اهتم بها الفكر الأوربي، لم يكن الأمر قد تخطى مسألة العلاقة ما بين ثنائية «الأخلاق – الطبيعة» التي طبعت توجهات الأديان السماوية. وإذا كانت الغاية قد تحددت لدى الثانية، فأن الفلسفة الغربية بقيت تتطلع في توجهات متباينة عبر اتجاهات متعددة،كان الأبرز منها؛ الأخلاقي، الطبيعي، إنكار العالم والحياة، لكن تبقى مادة الدرس والتشريح متعلقة بالثنائية القائمة بين الأخلاق والطبيعة[١٢]. وجاء عصر النهضة ليهيئ الاحترازات العقلية، من خلال توجيهها نحو المباشرة في التعامل مع الطبيعة، بعد أن كانت مشغولة بتتبع المقولات العقلية والمناظرات الفلسفية. وهكذا صارت التجربة هي الأساس في توجيه العقول نحو استنباط القوانين والخضوع لمدركاتها في سبيل التغيير[١٣] والحفز نحو الأمام لابد من التأكيد هنا إلى أن عصر النهضة، لم تتبلور فيه الاتجاهات العقلية بشكل نهائي أو حاسم. بل بقي يمثل حالة من المخاض في سبيل بلوغ ولادة الأفكار الجديدة. وبفضل القوانين التي استنبطها العلم التجريبي، وزيادة التطلع لاكتشاف الطبيعة بشكل واسع. برزت فكرة حرية الإرادة، التي وثقت التوجهات[١٢] الإنسانية في السيطرة على الطبيعة لينبثق عنها، شعور بفكرة التقدم المقرون بالتفاؤل. كان (رينيه ديكارت) ١٦٥٠م من رواد النزعة العقلية التي تطلعت نحو الفصل ما بين الفكر والجوهر المفكر، وبين المادة والجوهر الممتد. وفي ضوء هذه العلاقة، يمكن للعقل أن يصل إلى الحقيقة من خلال الأفكار المتعلقة بالحدس والاستنتاج. أي توطيد أواصر العلاقة ما بين الفكر والعقل[١٤] المبتنى على الحكمة. وعلى ذات المنهج تتبع «باروخ سبينوزا» ١٦٧٧م فكرة الوصول إلى الحقيقة، من خلال الفصل ما بين الفكر الديني والفكر العقلي. وبهذا يكون توصل إلى نوعين من الفكر؛ الأول ويستند إلى الشريعة الأخلاقية وقوام مفاهيمها من صنع الخيال وتكون موجهة إلى العامة حيث القوى العقلية البسيطة. أما الثاني فأنه يستند إلى أصحاب القوى العقلية الفائقة، ولابد أن تكون لهم حرية الرأي من خلال استخدام الفكر العقلي[١٥]. وقد جسد فكرة العقل،في فكرة الدولة التي تجعل من الأفراد خاضعين لقوانينها من أجل ضمانة تحقيق الفضائل الأخلاقية وتطورها. واستناداً إلى مفهوم الضرورة المنطقية المطلقة، حدد «سبينوزا» معالم العلاقة المفهومية بين (الله، الإنسان، الطبيعة) رافضاً الانفعال الحسي، ومشدداً على أهمية الاتحاد العقلي المجرد في الحقيقة الأزلية والسرمدية[١٦]. انطلاقاً من فكرة أن الأهواء نقص في الوجود، وأن العقل زيادة في الوجود. والغاية الأهم في كل هذا الوصول إلى مضمون الحرية حيث السعادة في غاية مراحلها. منطلقاً في تحديد مستويات المعرفة؛ الحسية القائمة على الأهواء والانفعالات، والاستدلالية الموصلة لفكرة الحقيقة، والحقيقية الأولى التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق حب الله والحدس[١٧] حيث السعادة القصوى.

أما «كانط» ١٨٠٤م فقد نظر إلى فكرة الأخلاق باعتبارها دافعاً نحو التكامل الذاتي للإنسان، رافضاً أن تكون مجرد «وسيلة» بل مشدداً على أن تكون «غاية» فالأخلاق كامنة في الإنسان، وهي المسؤولة عن تحرر الإنسان من الحواس، انطلاقاً نحو العالم الأعلى، وهكذا فأن الأخلاق لا تقوم إلاعن طريق بناء الذات وسعادة الآخر[١٨]. وكان (فختة) ١٨١٤م قد ربط بين الذات والمعرفة جاعلاً

الذات شرطاً للمعرفة، وبالمقابل جعل من الطبيعة شرطاً لممارسة الذات الحرية والتقدم. ومن أجل الوصول إلى التكامل لابد لهذه الذات من العمل لتحقيق الحرية[١٩]. وصولاً إلى المثل الأعلى، انطلاقاً من الخضوع إلى القانون الأخلاقي الذي سيكون في مفترق الطرق الموجهة إلى فرعين؛ المتوجهة نحو الأهداف العليا التي تلتقي فيها النفس والأفكار. أو التطلع نحو الغرائز الحسية. وقد آمن «فختة» بأن كل أمة لها ثقافتها الخاصة المميزة[٢٠]، والتي تمثل حلقة متممة في التكوين التاريخي للمجتمع البشري.

ترتكز تطلعات «هيغل» ١٨٣١م إلى أن التاريخ في وحدته يستند إلى أساس عقلي مطلق، وأن التطور يسير على مر الزمان، من خلال نظرته إلى أن العالم في حالة من الحركة والتغير المفضي إلى التطور الدائم «مبدأ الصيرورة» وانطلاقاً من وحدة الفكر والوجود، أقام «هيغل» فاصلاً بين الفكرة والتصور، على اعتبار أن الفكرة تمثل المعرفة الكلية المطلقة والحق، في حين أن التصور لا يتجاوز اللحظة، لكنها لحظة موحية لانطلاق الفكرة[٢١]. وقد عمل جاهداً نحو ترسيخ مفهوم المثالية من خلال الربط بين الواقع والمعقول. فالفكرة هي المطلق، والمطلق هو الذات الكلية، محدداً في ذلك ثلاث مراحل لأطوار الفكرة المطلقة؛ الأول ويتمثل في عنصر التفكير الذاتي «المنطق»، والثاني في المظهر الخارجي لمقولات التفكير الذاتي «فلسفة الطبيعة»، والثالث في الفكر والتاريخ (فلسفة الروح)[٥].

كانت غاية فلسفة «هيغل» متوجهة نحو «الحق»، وعليه تطلع نحو دراسة معنى الوجود، من خلال الارتكاز إلى دراسة القوانين الحاكمة للوقائع في التاريخ، وهكذا وضع يده على فكرة نقض النقيض وصولاً إلى التطور[٢٢] الدائم. فالموضوع يفضي إلى نقيض الموضوع، وباتحاد الأول مع الثاني ينتج «مركب موضوع» ليصبح هذا «المركب موضوعاً»[٢٣]، وهكذا دواليك. ومن هذه الجدلية تمكن أن يصوغ فلسفته للتاريخ، عبر نقل فكرة (الوجود) إلى عالم الواقع. فالمطلق حين صنع العالم كانت غايته (الوعي لذاته) فإدراك ذاته يتم عن طريق مخلوقاته، وأن معنى العالم يكمن في عالم الروح [٢٤].

فرضت التحولات التي عاشت في كنفها المجتمعات المتقدمة، اتجاهاً حاسماً نحو بناء فكري جديد، قوامه تأسيس معرفة للوجود تأخذ في حسابها العناية بالتاريخ الكلي. أي البحث في الأصول المعرفية لكل تقدم مر على البشرية، من حيث الأصل الوجودي. وكان هيغل قد عمل على ربط العامل الزمني بالكينونة، على اعتبار أن الزمن كفيل بإظهار الروح، التي جعل منها الحافز الأصلي في تحريك التاريخ. فيما عمد إلى الربط بين الفكر والطبيعة والتاريخ[٢٥] انطلاقاً من فكرة أن العالم من صنع الروح، أما الواقع فإنه لا سبيل إلى تفسيره إلاّ من خلال الفكر. فالعالم ما هو إلا إفراز للفكر. وإذا ما كان الواقع يرتبط بالفكر بوشائج الوجود، فإنه يتعين علينا الإقرار بأن المفاهيم ما هي إلا تعبير عن الواقع الفعلي. وهكذا يكون الفكر هو الوجود، والوجود هو الفكر. وعلى أساس هذه العلاقة، تمثلت فلسفة التاريخ بإبراز الوجود في إطار[٢٦] التوافق مع الفكر. من هنا كان التمييز والفصل في التعامل مع التاريخ عبر تمثلين؛ الأول ومستنده التاريخ الوصفي الذي يعنى بالجانب الخارجي من الظاهرة، حيث تكون الأهمية القصوى للحدث، وارتباط الفاعلين التاريخيين به، إذ يتم ربط غاية التاريخ بالغايات التي ينشدها أولئك الفاعلين. ومهما كانت النظرة إلى «التاريخ الوصفي» إلا أنه يتبقى

حاملاً بين ثناياه الكثير من المعطيات الفكرية والقيم الأخلاقية. أما التمثل الثاني فيكمن في «التاريخ بتأملي» الذي يحاول رسم صورة عالمية موحدة شاملة عن العالم، كسبيل للخروج بمعنى تاريخي[٢٧]. ومهما كانت تطلعات هذا الشكل التاريخي وغاياته، إلا أنه يبقى يدور في فلك الحاضن التاريخي الأول الموسوم بالوصفي. فالمؤرخ لا يستطيع الخروج من تقمصاته الذهنية والفكرية والمعرفية، ليجردها في طابع شمولي حقيقي. وإذا تطلع التاريخ التأملي نحو الطابع الأخلاقي بلوغاً لاستخلاص العبر. فإن التحقيب الزمني يكشف وبجلاء عن تهويمات الإسقاط التاريخي، على أساس أن لكل حقبة ظروفها وملابساتها وإشكالاتها على مختلف المستويات في المعنى والإرادة والسياق والرهانات. وعلى هذا لا يمكن «للحظة التاريخية» أن تتكرر في مسار التقدم الزماني. كما أن الولوج في سياقات تاريخ التاريخ للتحقق من صدق الرواية التاريخية من خلال ممارسة النقد عليها، لا يجعل منها سوى إغراق في التأملات الذاتية، النائية بعيداً عن المسار التحولي الذي ينشده التاريخ. أما التطلع نحو دراسة جانب بعينه في تاريخ التطور الفعلي والجمالي والأخلاقي للإنسان،مثل تاريخ الموسيقي أو تاريخ المسرح، أو تاريخ الدين، فإنه يفصح[٢٨] عن توجه نحو الاهتمام بالتاريخ الشمولي الذي تنشده فلسفة التاريخ.

وإذا كانت وشائج التاريخ وأمشاجه المعرفية، قد أنبنت على آليات السرد والتحقيب الزمني، فإن البعد الأنطولوجي الذي يهدف إلى بلوغ الحقيقة، تمثل فيه تشكله الأزلي، باعتبار أن الحقيقة ثابتة لايمكن لها أن تخضع لأطوار الزمان وتبدلاته. وهنا سنكون في مواجهة حاسمة ما بين التاريخي الذي يستند إلى الماضي، حيث يتمفصل الحدثي بمكنون ما يقدمه السرد[٢٩]. والفلسفي الذي يستند إلى العقل من أجل الوصول إلى الحقيقة. وعبر إجراءات النقل والتحويل المنهجية في المعاني تكون، فلسفة التاريخ قد أرست فكرة العقل الذي يحكم مسار التاريخ، وأن التاريخ الشمولي إنما يقوم على فكرة فاعلية الروح في صنع التاريخ[٣٠] هذا مع التأكيد على ارتباط مفهوم العقل بالغاية المطلقة، ذات التجليات المتعددة والطبيعة الثابتة[٣١]. وإذا كان التاريخ بمثابة الحامل المعرفي للمكنون العقلي عبر تجليات الفكر، إلا أن العقل المقصود هنا ليس المنسوب إلى الأفراد أو المؤسسات أو المجتمعات أو الدول، فهنا سيكون بمثابة لحظات تاريخية.

العقل – الأفراد أو المؤسسات ــ لحظة تاريخية

العقل ــ المعنى التاريخي – (المطلق).

(مخطط معرفي لمعنى التاريخ العام)

فالتاريخ العام ينشد جميع اللحظات التاريخية عبر الحامل (الأفراد والمؤسسات) عبر مكنونها العقلي وصولاً إلى المعنى التاريخي (المطلق) في دوالية الحضور المستمر غير المنقطع. فالعقل حافز والطريق إلى بلوغ المطلق يتم عبر التاريخ المتدرج [٥].

يركز «نيتشه» ١٩٠٠م معنى الحقيقة في العالم الحي، رافضاً في ذلك عالم المثل، على اعتبار أن القيم الشاخصة، ما هي إلا تمثلّ لإرادة القوة، والتي تمثل في محتواها «ماهية الكائنات»، فالإرادة لديه بمثابة الأداة الأساسية التي تؤكد الذات والقدرة والتفوق[٣١]. وكان قد شدد على أن ظهور الإرادة، يتجلى في الجسد أولا، أما العقل فأنه مجرد وسيلة. فالغريزة قوة خلاقة مبدعة، في حين أن الوعي قوة نقد وسلبية. وإذا كانت «الإرادة القوة» تمثل ماهية الكائن، فإن (العود الأبدي للعين نفسه) يمثل المظهر الذي تبدو عليه الإرادة[٣٢]. فاللحظة التي يعيشها الكائن مسؤول عنها باعتبار تماهيها مع

اللحظات العائدة. هذا بمعنى أن الإنسان الأعلى، هو القادر على الخلق والإبداع في مجال القيم والأخلاق والذوق، وهو القادر على أن يعيش لحظته وله القدرة على استعادة هذه اللحظة (أبدياً) فالإنسان كإنسان لا بدله من الخروج عن أخلاق القطيع، والتطلع ذاتياً نحو صنع حياته وقيمه لكن هذا كله لا يكون بالمطلق[٣٣]. إذ ميز «نيتشه» بين نموذج الإنسان الأعلى المسؤول، والإنسان المتخاذل والذي حمله المسؤولية أيضاً، في مواجهة اللحظات المتشابهة التي ستواجهه.

لقد عاد «نيتشه» إلى أصول الشعور التاريخي الذي يعود على نفسه في المجال الأوربي. من خلال رفض النقل والدعوة إلى التحول العميق. وهو لم يتوان عن توجيه التهمة إلى تاريخ الفكر الغربي برمته،على أنه قد تأسس بناءً على خطأ معرفي. حتى أعلن رفضه للنزعة العقلية وأشكال التصور والربط بين الفكر والواقع. بل أنه عكف على تحديد المقدسات الذهنية التي درجت عليها العقلية الغربية، داعياً للكشف عنها وهدم محتواها[٣٤]، إن كان في الأخلاق، السياسة، الفلسفة. فقد صبّ جام غضبه على أوهام المبادئ الفلسفية، مبتدءاً فيها بالمبادئ الخاصة بالفكر من؛ الذات، الموضوع، الجوهر، العلية، الغائية، الشيء.واسماً إياها بأنها الوسائل التي تفيد التملك[٣٥]. وإذا ما كانت «الهوية» Identity أساساً في الفكر، فأنها ليست أساساً في الوجود، على اعتبار التغير والصيرورة الذي يحتويه الوجود. وبما أن مظاهر العقل مختلفة ومتمايزة، فإن الحديث عن العقل الواحد يعد تهويماً وإسفافاً. فالوجود يتناقض مع العقل، لأنه يدعي معرفة كل شي، وفي هذا يكون خطراً على الحياة. أما الحديث عن العقل الكلي، فهو أمر لا يمكن أن يحظى بالقبول،على اعتبار أن التجسد العقلي، لا يتبدى سوى بجزئية محددة ضمن الموجود الإنساني الذاتي. وعليه خلص «نيتشة» إلى الفكرة المستندة. إلى أنه لايمكن الإيمان بالوجود الثابت، بل الأصل يكمن في التغير والصيرورة.

الوجود ـــــ الحياة ـــــ إرادة ـــــ إرادة القوة ـــــ القوى الفاعلة تؤكد اختلافها.

فالخير يصدر عن القوة، والشر يصدر عن الضعف، أما السعادة فأنها تمثل مقدار تزايد القوة ونموها. فلا سلام ولا فضيلة، بل الحرب والمهارة. وعلى هذا فان القوة هي جوهر الوجود، وهي المفضية إلى تفسير كل شيء في الوجود، ومعرفة الوجود إنما تتم عن طريق الشعور بالحياة والقوة. وكل قيمة يمكن أن يصنعها الإنسان في الحياة والإرادة والعقل[٣٦] والصيرورة إنما تكون بمثابة الوجود.

وضع «نيتشه» بديله للمعرفة والحقيقة، استناداً إلى التأويل والتقييم. فالتعامل مع الظاهرة يبقى غير واضح باعتبار تجزؤ المعاني. وعليه لابد من التقييم الذي سيعمل على تحديد القيمة، إذ لا توجد (أسبقيات) بين الفكر والحياة، بقدر ما توجد وحدة عضوية بينهما. وبهذا يكون قد وجه قطيعته مع المثالية التي أكدت على الفصل بين الحياة والفكر. فالمثالية حسب تصوره، لا تحمل دلالة أو معنى، باعتبار خضوعها للقيم الجاهزة التي جعلت منها (عُليا) بدءاً بالقياس السقراطي المستند إلى معيار الفعل، وصولاً إلى هيغل الذي يقوم على أساس "الوعي بالذات". وهكذا يرفض "نيتشه"؛ علم الكائن من حيث هو كائن الأنطولوجيا، ليقدم بديله النقدي[٣٥] المستند إلى؛ (قيمة الأصل وأصل القيمة) الجينالوجيا، حيث البحث عن المعنى والدلالات من خلال التقييم المبتنى على التأويل. والهدف هنا لا يقوم على أساس العناية بالاعتبارات العقلية، قدر تطلعه نحو فكرة «الإنسان الأعلى».

الوجود ـــــ تأويل ـــــ المعاني «مجزأة».
الحياة ـــــ تقويم ـــــ الدلالة «قابلة للتحديد».

من ثنائية الظاهر، يتم تحديد علاقة القوة بالواقع، وصولاً إلى المعنى التاريخي الذي يؤكد على أن القوى تتوالى متصارعة من أجل تحقيق المعنى. فالمعنى يتغير وفق القوة التي تسيطر عليه. ومن خلال تعدد الدلالات وتنوع علاقاتها يمكن الوقوف على تنوع في المعاني حيث يتركز مفهوم التاريخ. فالظاهرة تحمل في داخلها قوى فاعلة بقصد السيطرة، وقوى منفعلة متوجهة نحو التكيف. وهكذا يتم تحديد ماهية القوة وهي «الإرادة» من خلال علاقة القوة مع القوة. وغاية الإرادة ليست القوة، بل هو ذلك المكنون الذاتي ذو الطبيعة الاختلافية. الذي يهيئ للقوة قابلية الاشتقاق، وهكذا يتم تأكيد اختلاف القوى، من خلال سيطرة إرادة القوة على القوة. وإذا كان التأويل يصل إلى المعنى عن طريق القوى المتعددة، فإن دور التقييم سيقوم بتحديد القيم من خلال إرادة القوة. ومن هنا ينشأ التعدد والاختلاف. أما الخضوع للقيم العليا فإنه سيؤدي إلى مطابقة لا ينجم عنها سوى الخضوع والضعف، لتكون النتيجة إحلال القيم في مركز أو مرتبة أسمى من الحياة، حيث تكون الدلالة قد تحددت نحو الحياة الضعيفة. وإذا كان «نيتشه» قد توجه بخطابه نحو رفض التراث الفلسفي الأخلاقي المبتنى على العلاقة ما بين الوجود والعقل، وإخضاع النزعات الحسية لسلطة الأحكام والمعايير الأخلاقية والقيمة [٣٧]، حيث المثال الجاهز والراسخ. فإنه كان يدعو إلى علاقة جديدة بين المفاهيم والقيم، والعقل والجسد، قوامها الأخلاق الشمولية. وحتى إذا مارسنا على القواعد التي لا تحمل دلالة جوهرية وفرضنا عليها اتجاهاً بعينه من خلال عملية التأويل، وأخضعناها لإرادة جديدة وقواعد أخرى غير الأصلية، لوقفنا عند تأويلات متعددة ومختلفة، تحمل في ذاتها قواعد المطابقة مع غاية البشرية، ألم يقل[٣٨] «نيتشه» بأن التاريخ هو مسار تعدد المعاني.

من تحت أنقاض الهزيمة الألمانية في الحرب العالمية الأولى، يبرز «أوزفالد شبنغلر» ١٩٣٦م في وضع تاريخ عالمي يزخر بالتشاؤم وتفوح منه رائحة الموت، انطلاقاً من قانون الوجود، حيث الموت لابدّ له أن يحط على جميع أشكال الحياة وصورها وتمثلاتها وأفكارها. وهكذا تخضع الثقافة أيضاً لهذا القانون، حيث يكون مصيرها المحتوم هو الموت أيضاً[٢١]. ومن هذه الرؤية بنى تصوره لفلسفة التاريخ، انطلاقاً من الرؤية المورفولوجية المستندة إلى علم الأحياء التي تأخذ بدراسة بنية الكائن الحي وشكله، معتبراً أن كل ثقافة لها الخصائص المميزة المقترنة بالكائنات الحية، ويمر عليها ما يمر على الكائنات من (ولادة، نمو، نضج، موت)[٣٦] وأن الأساس الثابت في الثقافة يتجلى في روح الحضارة. وكان قد تأثر بنظرية الفيلسوف الألماني (وليم ديلتي) ١٩١١م[٣٩] الذي وجه انتقاده إلى الميتافيزيقيا، مشيراً إلى أن العلم يجب أن يقام على أساس، التاريخ. مؤكداً على شمولية مفهوم الحضارة، حتى أنه لم يتوان عن جعل الفلسفة جزءاً من الحضارة، وبنية من البنى المكونة لها[٤٠] حيث أناط بالمؤرخ وفقاً لهذا التصور مهمة تحديد وتعيين العلاقات والظواهر الثقافية داخل المجتمع. ودعوته قد تركزت في أهمية التفكير الباطني المخالف قطعاً للطبيعة. ساعياً في ذلك نحو الرؤية الوجودية لرفض الميتافيزيقيا التي تربط الواقع بالمطلق. على اعتبار أن الفكر يرتبط بالوشيجة العضوية بالحضارة.

واعتماداً على مبادئ فلسفة الحياة تم النظر إلى التجربة التاريخية عبر معيارين؛ الحي، الآلي. من أجل إدراك الوجود، حيث الفصل بين التاريخ

والطبيعة. فالتاريخ ليس مجرد حقائق متراكمة، بقدر ما هو وقائع ذات حركة مستمرة متماهية مع الزمان[٤١] وفي صلب واقع الحياة المستمرة. فالتاريخ حياة لا يتم تفسيره إلا عن طريق الحياة، حسب نظرية (ديلتي) وواجب المؤرخ يتركز في استعادة الحياة « الوقائع التاريخ» وجعلها في مزيج متوّحد مع الحياة الحاضرة. وباعتبار أن التاريخ حياة، لذا نجد أن ما يصدق على الحياة يصدق على التاريخ. وعليه فأن الأثر التاريخي أو الدليل لا يعد متمماً[٧] للنسيج التاريخي بقدر ما يمثل مادة لإعادة الحياة في التاريخ، من أجل ضمان استمرار الحياة. وكما يقول شراح الفلسفة إذا أردت أن تفهم مقولات نيتشه عليك بالمقولات التي طرحها «شوبنهور» ١٨٦٠م، فأن الطريق لفهم شبنغلر يتم عن طريق استيعاب مقولات (ديلتي).

في إطار معالجتة لفكرة الحياة والروح، أشار «شبنغلر» إلى أن الفلاسفة السابقين لم يميزوا بين الزمان والمكان.منطلقاً من فكرة فعل العد الذي يمثل الحياة، والعدد الذي يكون خارج الزمان[٤٢] والزمان لا يمكن تحديد اتجاهه طبيعياً، كما أنه غير قابل للإعادة. وتطلع نحو تحديد صورتين للوجود، على الرغم من تعارض فكرة الصورة مع الحياة التي تقوم على التغير المستمر. وكانت صورة الوجود الأولى قد تمثلت في «الطبيعة»[٤٣] وفي سبيل بلوغ الوعي بها لابد من المنهج التجريبي. في حين تمثلت الصورة الثانية في «التاريخ» الذي يستدعي منهج «الحدس» بناء على تحديد معالم الوقائع والأحداث،واستخلاص الرموز والدلالات من هذه الوقائع.

الحدث ـــــــ المعنى ـــــــ الروح

الشاهد ـــــــ الدلالة ـــــــ الحياة

ومن أجل بلوغ معنى الوقائع، لابد من التوقف عند الروح التي حفزتها، أما الشواهد فأنها تكون بمثابة الدليل على الحياة. ومن هذه الوقائع والشواهد يكون الارتكان عند الروح الواحدة التي صنعت التاريخ. وبحثاً عن المعنى صاغ مبدأ «التماثل» لدراسة الحدث التاريخي، انطلاقاً من المدى الذي يفرزه كلّ في حضارته، مع الأخذ بالاعتبار الظروف الواحدة المحيطة[٤٤] بكلا الحدثين. وانطلاقاً من الفروض المنهجية لهذا المبدأ، توصل شبنغلر، إلى أن المركب الداخلي لجميع الحضارات واحد، اعتماداً على المعنى الواحد الذي أفرزته كل حضارة على حدة في المجال السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الديني، العلمي، الفني. وهذا كله يقدّم للمؤرخ القدرة على التنبؤ بالأدوار التاريخية لكل حضارة. بل ويمكنهّ استحضار العصور التاريخية الماضية انطلاقاً من التفاعل مع المعنى والأدوار التي تمر بها الحضارات المختلفة من؛ ولادة، نمو، نضج، موت. فالتاريخ لديه ليس مسيرة من التواصل من القديم إلى الحديث، بقدر[٤٥] ما هو تمثيل لدوائر حضارية،لكل منها فرادتها وخصوصيتها.

كان التأكيد على أهمية التعامل مع التاريخ، ببعده الزمني الخالص دون تمييز بين مدة زمنية وأخرى. فيما كان (العزل) من الضرورات التي ركز عليها «شبنغلر» فلكي تصل إلى وعي جديد بالتاريخ، لابد من تجديد النظرة، والتعامل وفق منطق إفراغ التصورات السابقة، من خلال الاعتماد على رؤية قوامها؛ أن التاريخ على الصعيد الزماني لا يختلف عن أي زمن آخر، مع أهمية اعتباره شيئاً غريباً وبعيداً، لا يخضع للمشاعر[٤٦] والعواطف والرغبات والميول والأهواء. وأن حكم المؤرخ لابد أن يصدر من خلال التعامل مع جميع الحضارات التي أنتجتها البشرية، وليس وفق التصور الأحادي، المنطلق من رؤية تابعة لحضارة بعينها. من هنا كانت الضرورة المنهجية قد أملت أهمية التمييز بين الطبيعة والتاريخ.

فالطبيعة خاضعة لقانون الإمكان، حيث العلية الطبيعية، التي تؤكد أن الظاهرة تفسر نفسها، سواء برزت للعيان أم لم تبرز. فجميع الحقائق فيها تستند إلى النظام الثابت وعليه فأن ظواهر الطبيعة لا تحتاج إلى تعريف. فمنطق الثبات هو الذي يقوم بدور التعريف بها. في حين أن التاريخ قوامه الحدث وحقائقه يتم بلوغها عن طريق[٤٧] الحدس والاستنباط. وإذا كان المستقبل يكون بمثابة الطريق الذي يسير عليه،فأن الماضي يبقى شديد الصلة به، لتوكيد هويته وذاتيته. ومن علاقة الثبات والتحول، توصل "شبنغلر" إلى التمييز بين التاريخ كمعنى يقوم على الصيرورة والتاريخ المستند إلى فعل التورخة وتدوين الحدث، حيث يتم تحويل "الصيرورة إلى" ثبات من خلال التدوين.

الطبيعة: العلية ـــ ثبات ـــ تعريف ـــ مدرك خارجي

تأريخ: المصير ـــ صيرورة ـــ تحويل ـــ مدرك باطن

تاريخ: العلية ـــ ثبات ـــ تعريف ـــ مدرك خارجي

الحياة: المصير ـــ صيرورة ـــ تحويل ـــ مدرك باطن

ومن تجاور المعاني يتم توطيد العلاقة ما بين «التاريخ والحياة»، وبذات القدر تتشكل العلاقة ما بين «التاريخ والطبيعة» وإذا كان كوبرنيك قد دعا إلى استقلال البحث في مجال الطبيعة، فإن دعوة "شبنغلر" قد دعت هي الأخرى إلى[٨] استقلال البحث في مجال التاريخ، انطلاقاً من أهمية رفض الأسبقيات في إطلاق الأحكام الجاهزة حول المقارنة بين العصور الحديثة والعصور القديمة. فجاهزية كهذه ستجعل من المؤرخ يقع في شراك وهم لا يختلف كثيراً، عن الوهم البصري في تمييز الأجسام، حيث يشاهد الجسم الأقرب إليه، هو الأكبر، والأكثر غنى بالتفاصيل. فالتاريخ العالمي العام ما هو إلاّ صور لانهائية من الانقطاع والظهور، تلعب فيه الصدفة والاتفاق دورهما الفاعل في إظهار صورته المربكة والمقلقة إلا أن هذا الظهور يبقى بحاجة إلى مصدر صيرورته. من هنا استقى "شبنغلر" من "غوته" ١٨٣٢م، فكرة قوة الكمال الأول "الصورة الأولية" والمستندة إلى أن أساس وجود المادة يقوم على الحركة. وأن تعدد أنواع الحركة، يفضي إلى حيوية المادة، حيث الوجود بقوة حية إلى الأبد. وهكذا وجه نقده إلى التقسيمات التي وضعها المؤرخون الغربيون للتاريخ العام، مشيراً إلى المركزية التي وضعوا أنفسهم فيه، جاعلين من التواريخ البعيدة للحضارات السابقة مكاناً هامشياً، لا يخلو من التبعية. هذا بالإضافة إلى النظرة المؤكدة على أن حركة التاريخ تسير باتجاه واحد قوامه استمرار التقدم. انطلاقاً من مبدأ المثل الأعلى. من هنا كانت نظرته الجديدة إلى التاريخ، جاعلاً من الحضارة الوحدة الأساسية فيه، في حين اعتبر "الحضارة" بمثابة الكائن الحي (الإنسان، الحيوان، النبات) وكان اعتقاده في ولادة الحضارة يرتبط بانفصال الروح عن الحالة الروحية الأولى. وأن موت الحضارة يرتبط بتحقيق الروح لجميع تمثلاتها [٤٨] في اللغة والدين والفن والعلم والسياسة

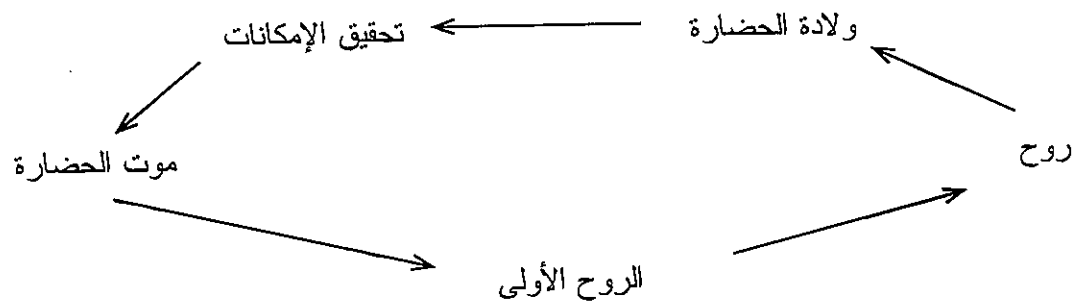

والمجتمع والثقافة، لتعود الروح إلى الحالة الروحية الأولى.

يتشكل الوجود الحقيقي من صورتين؛ الوجود الرمز، والآنية. ويتخذ الوجود الرمز، طابع المعنى كونه غير حقيقي، ويتشكلّ تكونه في صورة التاريخ. على اعتبار أن صورة التاريخ ما هي إلا رمز عن الوجود الحقيقي. أما الآنية فأنها لا تحتوي على معنى، على اعتبار وجوده في الواقع وظهوره للعيان، مع الأخذ بنظر الاعتبار أهمية الزمان فيه، بل أن الأهمية تظهر وبجلاء للمكان. والرمز لا يفسر، لكن يتم إدراكه بشكل جزئي، انطلاقاً من المرجعية الثقافية الواحدة. وهو تمثل لصلة [٤٩] بين الكائن والكون، انطلاقاً من المعنى الذي يمثله الكون بالنسبة للكائن، وليس للسؤال عن الكون في ذاته.

يرتبط الرمز بالحدث الذي مضى ولن يعود، لذا فإن دلالته تكمن في موت الحياة وبالتالي الفناء، إذ لم يبق منه سوى الامتداد والارتباط بالمكان. على اعتبار أن الامتداد مادة، وهي نقيض الروح، والروح حياة، والحياة نقيض الموت. ومن هذه النقائض يمكن الوقوف على استدلال يكمن في تكافؤ الموت والمكان، انطلاقاً من لحظة التوقف [٥٠]. فإذا توقفت الحياة تحولت إلى موت، وإذا توقفت الروح تحولت إلى مادة.

إحساس واعي ----- صورة التاريخ ----
التجربة الحية ------ ميلاد الكون الخارجي
الرمز --- مكان --- امتداد -- مادة -- موت
--العمق -- حياة شعورية "الرمز الأولي "
الواقع ---زمان -- -اتجاه -- روح --حياة
--الإدراك --- يقظة الروح "الحضارة"

من هنا يتشكل معنى الرمز الأولي في مظاهر الحضارة، عبر المجتمع والسياسة والقانون والفن والدين والأسطورة والثقافة والعلوم. وهكذا يحدد "شبنغلر" الرموز الأولية لمجموعة من الحضارات، فالحضارة المصرية رمزها "الطريق"، والقديمة "يونان ــ رومان" رمزها الجسم المنعزل المتكتل، والعربية التجويف الداخلي " الكهف " والغربية المكان اللامتناهي الخالص. فالامتداد والسعة والنظر الدائم إلى البعيد حيث الفضاء الواسع، تعد من السمات المميزة للمعمار الغربي. وهكذا هي الحال بالنسبة لمظاهر الحضارة الأخرى[٥١]، إن كان في الرسم أو الشعر فالحضارة الغربية لا تنسجم روحها، إلاّ في اللامتناهي واللامحدود. ومن هذه الروح تبلورت النزعة الاستعمارية حيث الامبراطوريات الواسعة التي لا تعرف الحدود أو تؤمن بها. إنه الشغف اللانهائي نحو الأفق الأرحب وهو الحافز الذي يجعل من المسكتشف الأوربي متطلعاً نحو سبر أسرار مجاهل أفريقيا، أو ركوب البحر للبحث عن طريق جديد إلى الهند، وهكذا الحال مع غزو الفضاء والنــزول على سطح القمر، والإنترنت والأقمار الفضائية والقنوات الفضائية التلفزيونية واتفاقية الجات في مجال الاقتصاد. أو انتشار النزعة الاستهلاكية وسيادة الذوق الغربي في الملبس أو انتشار التعامل بالبطاقات الائتمانية، أو السيارات ووسائط النقل الأخرى المصنعة في الغرب، أو الإقبال على مطاعم الماكدونالد والبيتزا والمشروبات[٥٢] الغازية. فكل هذه المظاهر لا تعدو أن تكون أعراضاً لظاهرة "التشكل الكاذب" حسب تعبير شبنغلر وما هي إلا عقبات في وجه تطلع الحضارة للشعور[٥٣] بذاتها.

لا يغفل "توينبى" ١٩٧٥م أهمية التاريخ في الحاضر، على اعتبار العبرة الواضحة التي يقدمها الماضي في سبيل إغناء الأحكام في العصر الراهن، ومن هذا يتجلى التماثل بين الماضي والمستقبل.

ومن خلال منهج الاستقراء كان التطلع نحو دراسة التاريخ انطلاقاً من الاعتماد على الوحدة الحضارية الكاملة، مقصياً في ذلك القومية. لأن حركة التاريخ لايمكن أن تقوم على فاعلية عنصر بعينه، بقدر ما تستند على التفاعل الاجتماعي المفضي إلى الحضارة [٥٤]. وهكذا كانت انطلاقة "توينبي" نحو التاريخ العالمي، متخطياً الرؤية العرقية العنصرية التي تأثرت بالتقدم الذي بلغه الغرب. وهو في تطلعه نحو هذا المسعى رفض فكرة خضوع التاريخ للروح التي نادى بها "هيغل" على اعتبار أن الروح التاريخية لاتكمن في الفرد بل في المجتمع. وعليه لابد من الخضوع الكامل لإرادة المجتمع الذي تمثله الدولة. وبالمقابل لم يأخذ بالمقولة المستندة إلى أن الروح تكمن خارج سياق التاريخ، لأنها تخضع التاريخ للتفسير الخاطيء على اعتبار أن الحقيقة ستكون خارج التاريخ حيث العالم[٥٥] الآخر. كذلك رفض دور المصادفة في حركة التاريخ على اعتبار خضوعه لقوى غير منظورة في صيرورة المجتمعات، ولم يأخذ بفكرة الدورة الحضارية التي نادى بها "شبنغلر".

كانت الأبحاث التي اشتغل عليها "توينبى" قد أوصلته إلى تحديد خمس حضارات قائمة من أصل إحدى وعشرين وهي؛ الغربية، الأرثوذكسية، الإسلامية، الهندية، البوذية (الشرق الأقصى). محدداً العامل الرئيس في نشوئها إلى الدين وليس إلى الدولة. على اعتبار أن الدين يعد الأس الأهم في تفعيل المجتمعات لمواجهة المشاكل. في حين أن الدولة تكون الوسيط الذي تعيش في كنفه جرثومة الانحلال والتفسخ، وباعتبار تطلع النخبة لاستنفاد موارد المجموع. باعتبار الأسبقيات التاريخية يمكن الإشارة إلى أن المجتمعات أسبق للظهور من الحضارات، ومن خلال التماثل يمكن المقارنة بين الحضارات، مع الوعي الجاد والدقيق بأن التاريخ لا يعيد نفسه[٥٦]، أو القول بالوحدة الحضارية، لأنه ينطوي على كثير من العسف، لأن هذا يصب بالمحصلة في نتيجة مغلوطة قوامها أن الحضارة الغربية ما هي إلا وريثة الحضارات العالمية السابقة. وللتأكيد على هذه الفكرة يشير "توينبى" أن الحضارة الفرعونية لم يكن لها أب ولم يكن لها ابن يورثها. كذلك عمد إلى نقض العامل البيئي في نشأة الحضارة من خلال الاستدلال بمنهج المقارنة مع البيئات المختلفة. وعليه خلص إلى نتيجة مؤداها يقوم على؛ أن العسر هو المكمن الذي يحفز التحدي في الإنسان من أجل التكيف وخلق المناخ الملائم لمسيرة حياته. وإذا ما عجز الإنسان عن مواجهة التحديات الطبيعية[٥٤] والبشرية في استجابة سلبية فإن مصيره المحتوم سيكون الخذلان والفشل.

من هنا كانت نظرية "التحدي والاستجابة" في صنع الحضارة انطلاقاً لجملة من التفسيرات الجمعية والفردية، حيث الإشارة إلى العديد من عباقرة التاريخ الذين اندفعوا لسد النقص الكامن فيهم، لاسيما من ذوي العاهات ما بين العمى والعرج والعبودية. أو التحدي الذي واجهته المسيحية إزاء الدولة[٥٧] الرومانية.

١. التحدي ← الاستجابة.
٢. ضعيف ← عجز.
٣. شديد ← تحطيم.
٤. مستثير ← إبداع.

ومن هذا القوام الثالث لطبيعة التحدي والاستجابة، تتحول الاستجابة المتمثلة "بالإبداع" إلى "تحدي" منتقلة من طور "الركود"[٥٨] إلى طور (القوة الدافعة) وهكذا تتجلى مؤثرات النـزعة القومية على توينبى التي تفاعلت في أوربا منذ القرن الثامن عشر[٥٩].

الخاتمة

قيض للفكر الغربي من شحذ الإمكانات نحو التفاعل مع سياقات الواقع، عبر الموائمة بين الممارسة والترصد العميق للتحولات التاريخية، حتى كان التحديد عنصراً رئيساً في التطلع نحو الخلاص من الصورة النمطية، تلك التي أثقلت على المجمل من أوجه تفعيل الواقع، فكان المسعى وقد تركز نحو تخليص الفلسفة من إشكالاتها القديمة، وضخها بدفعة جديدة قوامها استناد إلى ترصد الدلالات. فيما كان توجه التفعيل للعناية بالوضعية التي تكون عليها المعرفة، باعتبار الانطلاق من المنطلقات المنهجية القائمة على الخبرة والوصف والتفسير، حيث البحث الدال والعميق في أسباب القوانين. وصولاً إلى التطوير حيث المساهمة الجادة في الربط الصارم بين الممارسة البشرية وسياق الفعل الاجتماعي، ما يتجلى عليه صفات تطبيق القيم.

كانت التمثلات في العقل الغربي قد توقفت عند أحوال الشمول، حيث التوقف العميق عند طريقة حفز وتحريك الذاكرة الدلالية، تلك التي مهدت نحو توسيع المجال وفرض الهيمنة على الآخر الأضعف. فيما تجسد الحراك في الطريقة التي تمت بها معالجة العلاقة التي كانت تمثل بديهة معرفية حول العقل والموضوع، ليتم الفصل بين الطرفين، انطلاقاً من السعي نحو تصنيف العناصر، والعمل على عزل الحقول التاريخية، والتوجه نحو اختبار المجمل من العلاقات السائدة، من خلال ترصد مناطق التأثير، لما تمثله من قدرة في شحذ مسار التجاوز، الساعي نحو الخلاص من هيمنة التاريخ الشمولي.

المراجع

١. برهان غليون، الوعي الذاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٢.

٢. د. حسن الضيقة، تجربة الكتابة الماركسية، معهد الإنماء العربي، بيروت، لا تاريخ.

٣. توبي هاف، فجر العلم الحديث،ترجمة أحمد محمود صبحي، سلسلة عالم المعرفة، ج٢، الكويت ١٩٩٧.

٤. تزفيتان تودوروف، فتح أمريكا. مسألة الآخر، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

٥. د. معن زيادة (محرر)، الموسوعة الفلسفية العربية، ج٣، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٩٧.

٦. د. جورج كتورة «معد»، السياسة عند أرسطو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧.

٧. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٤.

٨. عبد العزيز الدوري، فلسفة التاريخ،مجلة عالم الفكر،المجلد الثاني، الكويت ١٩٧١.

٩. محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، بيروت ١٩٦٦.

١٠. فرانكلين باومر، الفكر الأوربي الحديث، ج٢، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.

١١. تودورف، نحن والآخرون، ترجمة ربىَ حمود، دار المدى، دمشق ١٩٩٨.

١٢. إشفيتشر فلسفة الحضارة،ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٠.

١٣. كارل ياسبرس، فلاسفة أنسا نيون، ترجمة د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت ١٩٨٨.

١٤. باومر، الفكر الأوربي الحديث، ج٢.

١٥. مايكل تومسون وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة،

الكويت ١٩٩٧.
١٦. A.G. Balz, Descartes and the modem mind new Haven 1952 .
١٧. آتيان بالبيار، سبينوزا والسياسة، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٣.
١٨. فؤاد زكريا، سبينوزا، دار التنوير، بيروت لا تاريخ.
١٩. سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفي، القاهرة ١٩٧١.
٢٠. بوخينسكي، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة د. محمد عبد الكريم الوافي، جامعة قار يونس، بنغازي لا تاريخ.
٢١. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
٢٢. جان بيار لو فيفر وبيار ماشيري، هيغل والمجتمع، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٣.
٢٣. د. يوسف حامد الشين، مباديء فلسفة هيغل، جامعة قاريونس، بنغازي ١٩٩٤.
٢٤. W.A. stace .The philosophy of Hegel newyork 1955
٢٥. هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة د.إمام عبد الفتاح أمام، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.
٢٦. Heiss, Hegel, Marx, Traslatedbg Garside, Newyork 1975 Kierkegaard.
٢٧. حناديب، هيغل وفويرياخ، دار أمواج، بيروت ١٩٩٤.
٢٨. هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.
٢٩. هيغل، علم ظهور العقل، ترجمة مصطفي صفوان، دار الطليعة، بيروت لا تاريخ.
٣٠. Marcuse, Reason and Revolution Hegel and the Rise of social theory, new York 1954.
٣١. علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة ومعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩١.
٣٢. حسن حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، ج٢، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.
٣٣. باومر، الفكر الأوروبي الحديث، ج٣.
٣٤. جاك دير يدا، المهماز أساليب نيتشة، مجلة مدارات، العدد ٦/٥، تونس ١٩٩٦، ترجمة عبد العزيز بن عرفة.
٣٥. يوحنا قمبر، نيتشه نبي المتفوق، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
٣٦. عبد الرحمن بدوي، نيتشه، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦.
٣٧. فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام، القاهرة ١٩٩٣.
٣٨. السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال نوكو، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٤.
٣٩. عبد السلام بنعبد العالي، المتيافيز يقيا العلم والايديولوجيا، دار الطليعة، بيروت ١٩٨١.
٤٠. حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، مجلة عالم الفكر، مجلد ٥ الكويت ١٩٧٥.
٤١. د. إسماعيل نوري الربيعي، فلسفة التاريخ عند شبنجلر، مجلة الفيصل، السعودية نوفمبر ١٩٩٣.
٤٢. W. Debbins, Essay in the philosophy. of H istory, Collingewood Tesal 1966.
٤٣. Patrick Gardinar , Theories of History, London 1954.
٤٤. Patrick Gardiner , the Nature of Historical Exploration , oxford 1968.
٤٥. sidney Hook , the Hero in History,

Boston 1969
٤٦. روي بورتر، تاريخ الزمان، من كتاب فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢.
٤٧. بويس، مستقبل الحضارة، ترجمة لمعي المطيعي، القاهرة ١٩٦١.
٤٨. محمد الطالبي، التاريخ ومشاكل اليوم والغد، مجلة عالم الفكر مجلد ٥ الكويت ١٩٧٥.
٤٩. encyclopedia of philosopgy, Paul Edw -- ards, Vol. 7. L ondon, 1972.
٥٠. David sills, International Encyclo- pedia social services, Vol. 15. London 1972.
٥١. Karl Popper, the Poverty of History London 1961.
٥٢. Northrop, Ideologic Differences and World order, studies in the Philosophy and science of the World Cultures, U. S. A. 1963.
٥٣. ويدجري، التاريخ وكيف يفسرونه، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ١٩٧٢.
٥٤. عبد الرحمن بدوي، اشبنجلر، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٢.
٥٥. جورج طرابيش، المثقفون العرب والتراث، دار رياض الريس، لندن ١٩٩١.
٥٦. نعوم شو مسكي، الغزو مستمر، ترجمة النبهان، دار المدى، دمشق ١٩٩٩.
٥٧. منح خوري، التاريخ الحضاري عند توينبي، بيروت ١٩٦٠.
٥٨. Toynbee and History: Critical essays and Reviews, Ashley Monrayu, Boston 1956.
٥٩. د. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، ج ٢ ص ٢٣٥. انظر أيضاً، عبد العزيز الدوري، فلسفة التاريخ، ص ٣٨٠. انظر أيضا،منح خوري، التاريخ الحضاري، ص ٩٩. انظر أيضا،ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه، ص ٢٠٨.

الحوار
مفهومه – أهميته – أركانه – شروطه
Dialogue
Conception - Importance - Main stays - Conditions.

أ. محمد بن عبد الحميد العدوي*

ملخص

تناول الكاتب في هذ البحث مفهوم الحوار، والألفاظ المقاربة التي يستخدمها الناس للتعبير عن المعنى ذاته، وبين أن بينها فروقاً عند التدقيق، وألمح إلى أن كثرة الألفاظ المستخدمة كبديل لمصطلح الحوار يدل على أهمية الموضوع، والحوار جهد بشري يتعرض الناس فيه للخطأ والصواب لذلك بين الكاتب متى يكون الحوار محموداً ومتى يكون مذموماً مع بيان حكمه شرعاً.

وتكلم بعد ذلك عن أهمية الحوار من خلال المجالات التي يحتاج الإنسان فيها للحوار، وبين أن الإنسان العاقل البصير يحتاج لأن يكون له حواراً ناجحاً مع نفسه، وحواراً دائماً مع ربه، وأن نجاحه في الحوار مع خالقه، ومع ذاته يكون كالتوطئة لنجاحه مع الآخرين، كما بين أهمية الحوار من خلال سرد تاريخي موجز له، وأيضاً بذكر بعض فوائده.

ثم تحدث بعد ذلك عن أركان الحوار، وبين أنهما ركنان هما: الموضوع، وطرفا الحوار، وذكر الشروط التي يجب أن تتوفر في كل منهما، في نسق يحسب أنه لم يسبق إليه، وقد تعهد بأن يتوسع في الموضوع ليشكل مرجعاً يرجع إليه في بابه.

وتكلم بعد ذلك عن شروط الحوار بإيجاز يتناسب مبيناً أهمية هذه الشروط في إيجاد حوار هادف وجاد تتمخض عنه نتائج مفيدة. والبحث يهدف في مجمله إلى بيان أهمية الحوار وضرورة وضع قواعد وأسس تضبط سلوك المتحاورين وتساعدهم في التوصل لنتائج مرضية.

Mr. Mohamed A. El Adawi*

Abstract

The writer in this paper writes about the concept of dialogue, and the similar words which are used by people to express the same meaning. Many words used as a substitute for the term dialogue demonstrates the importance of the topic. Dialogue is a human effort in which people are exposed to the right and wrong and when it is not. In addition to that, the paper explain the view of Islam of dialogue.

The importance of dialogue in the different fields is also researched. Humans need to be in successful dialogue with himself, and a permanent dialogue with God. His success in the dialogue with God and with himself prepares him to the success when dealing with others. and yet be the same as an affirmation of its success with others.

The paper dealt then with the two elements of dialogue; i.e. subject and the two parties. This was written in a new and innovative way which was not matched previously. Then the paper dealt with the conditions of dialogue shortly indicating the importance of those conditions to find a serious and meaningful dialogue leading to useful results.

This research as a whole demonstrates the importance of dialogue, and the need to put rules and principles to control the behavior of the interlocutors and help them to reach acceptable results.

* مركز الدعوة ــ دبي.

* Dawa Center – Dubai.

مقدمة

إن الحديث عن الحوار يكتسب أهميته من كونه العنصر الفعال الذي من خلاله يتم التفاهم، والتفاعل بين الناس، وإن كان الناس من قديم الزمان يحتاجون إلى الحوار لتيسير مصالحهم، وحل مشاكلهم، فإنهم اليوم مع تزايد مطالب الحياة، ونمو مشاعر الأنانية، وحب الذات، والتطلع لما عند الغير، وضعف دور الدين والأخلاق كزاجر عن الشر، مع التعقيدات الحياتية التي تزداد يوماً بعد يوم يشعر الناس أنهم بحاجة للحوار أكثر من ذي قبل.

يملك الناس من الأسلحة الفتاكة الكم الكافي لتدمير كل صور الحياة على الكرة الأرضية، ومع هذا الكم الهائل من الأسلحة المتنوعة إن لم يجد الناس بديلاً عن استخدام السلاح، وذلك من خلال الحوار الهادف البناء الذي يعمل على حماية المكتسبات التي حققها الإنسان عبر آلاف السنين، إن لم يحتكم الناس إلى لغة العقل والمنطق فإن المستقبل أمامهم لا يبشر بخير.

لذلك فإن الحديث عن الحوار اليوم من الأمور الهامة التي ينبغي على العقلاء أن يضعوا لها أصولاً يتفق عليها من الجميع، لتشكل بعد ذلك نقطة الانطلاق التي من خلالها يدور الحوار بين الثقافات المختلفة لما فيه صالح الناس ومنفعتهم.

ومن أجل ذلك اتخذت من الحوار موضوعاً لبحث أنوي أن أعمقه، وحسبي في هذه العجالة أن أسجل نقطة على طريق البداية أسأل الله عز وجل أن يوفق لإكمالها.

مفهوم الحوار وحكمه

للحديث عن الحوار والوقوف على أهميته والدور الفعال الذي يلعبه في تحديد طبيعة العلاقة بين المتحاورين – فمتى كان الحوار إيجابياً بناءً دل على وعي المتحاورين وتفاهمهم، وإدراكهم للهدف الذي ينبغي أن يأملوا من وراء كل حوار أو نقاش، وعلى العكس من ذلك إذا كان الحوار سلبياً فإنه لا يجر أصحابه إلا إلى الخصومات والنزاعات، وربما الاقتتال والحرب. وبالتالي فإن من الحوار ما يحبه الله عز وجل ويرضاه، ومنه ما يبغضه وينهى عنه – لابد من تحديد مفهومه وذلك لأن الحكم على الشيء حكماً صحيحاً لا يمكن إلا بعد حصول تصور واضح له لا لبس فيه ولا شك.ولذلك قالوا الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

الحوار لغة

الحوار من الفعل الثلاثي (حَوِرَ) على وزن تَعِبَ اشتد بياض بياض عينيه واشتد سواد سوادهما[1]، و(حار) من باب قال: أي نقص ورجع [1] و(حاور) الرجل صاحبه أي جاوبه وراجعه في الكلام، أي رد أحدهما على الآخر وتراجعا الكلام.(وتحاور) القوم فيما بينهم تجاوبوا وتراجعوا الكلام [1] لذلك قال ابن فارس: (الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً)[2].

وفي الاصطلاح

نلاحظ من استعمالات كلمة الحوار في اللغة العربية أنها تحمل معنى المجاوبة، ومراجعة الكلام، والرجوع والنقصان، وهذا ما يناسب الحالة التي نحن بصددها إذ أن الحوار كما يعرفه عجك (هو محادثة بين شخصين أو فريق، حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة والتعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر)[3]، وبتأمل التعريف السابق وهو لا يختلف عن غيره من التعريفات التي ذكرها الباحثون في هذا الموضوع نجد أن الحوار في الاصطلاح لا يبتعد عن معناه اللغوي كثيراً فهو طريقة في الحديث بين شخصين أو أكثر يتم

فيها النقاش حول موضوع ما وفق قواعد وأسس تقربهم من الوصول إلى الصواب في جو بعيد عن الشحناء، فترديد الكلام والتجاوب والرجوع معان مشتركة بين الحد اللغوي والاصطلاحي، كما نلمح التلوين فيما يحدثه من صفاء بين المتحاورين إذا ما أتى بنتائج إيجابية، أو ما ينبغي أن يكون عليه المتحاورون من صفاء النية، وطهارة النفس،أو ما يسببه الحقد، والتعصب، ونحوه من كدرة في النفس إذا كان الحوار سلبياً.

وأستطيع أن أقول أن الحوار هو: ما يدور بين الناس من حديث لشرح فكرة، أو بيان حق.

وأن العلم الذي يتناول هذا الأمر هو: العلم الذي يضع القواعد والآداب لإدارة الحوار من أجل الوصول إلى أفضل النتائج.

الحوار في القرآن الكريم

لم ترد لفظة الحوار في القرآن الكريم على صيغة المصدر (حوار) بينما وردت اشتقاقاتها على النحو التالي:

١. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ (الانشقاق:١٣ - ١٤). أي: يرجع.

٢. قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (الكهف: ٣٤).

قوله تعالى: ﴿ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ أي: يجادله ويخاصمه.

٣. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف:٣٧). أي: رد المؤمن على الكافر جدله مجاوباً.

٤. قال الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة:١)، جاءت خولة بنت ثعلبة تشكو زوجها أوس بن الصامت لرسول الله ﷺ فدار بينها وبين النبي ﷺ حواراً، وهنا لا حظ التبادل بين لفظة الجدل والحوار من خلال قوله تعالى: ﴿ تُجَٰدِلُكَ ﴾ و﴿ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾

٥. قال الله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ (الرحمن:٧٢)، والحوراء: التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء.

٦. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (المائدة:١١١)، قوله: ﴿ ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾جمع حواري وهم أنصار عيسى عليه السلام قال ابن عباس: سموا بذلك لبياض ثيابهم.

ومن الألفاظ المرادفة أو المقاربة للفظ الحوار: الجدل، والمناظرة، والمحاجة، والمناقشة، والمباحثة، والتفاوض، والمراء، ولنتناول بعضها لما فيها من إثراء للبحث وبيان لأهميته.

مفهوم الجدل

الجدل لغة

قال ابن منظور: (الجَدَل اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها وقد جادله مجادلة وجِدالاً ورجل جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال شديد الجَدَل ويقال جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أي غلبته ورجل جَدِل إذا كان أَقوى في الخِصام وجادَله أي خاصمه مُجادلة وجِدالاً والاسم الجَدَل وهو شدَّة الخصومة وفي الحديث: «ما أُوتي الجَدَل قومٌ إلاَّ ضَلُّوا» الجَدَل مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة والمراد به في الحديث الجَدَلُ على الباطل وطَلَبُ المغالبة به لا إظهار الحق، فإن ذلك محمود لقوله عز وجل: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾) (٤).

وفي المعجم الوجيز: (جادله) مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه، و في التنزيل العزيز ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وفيه: (الجدل) طريقة في المناقشة والاستدلال صورها الفلاسفة بصور مختلفة وهو عند مناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات وفيه أيضاً: (المجادلة) في علم المناظرة هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل

لإلزام الخصم)[٥] والمعنى اللغوي للجدل يدور حول القوة والشدة والقدرة على إلزام الخصم، ومراجعة الكلام لذلك قال ابن فارس: (الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام) [٢]

الجدل اصطلاحاً

قال الجرجاني الجدل هو: (القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان)[٦].

أو هو (دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة)[٦].

وقال أبو البقاء: (الجدل: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره) [٧].

الجدل في القرآن الكريم

جاء لفظ الجدل في القرآن الكريم بصيغه المختلفة في أكثر من ثلاثين موضعاً من كتاب الله عز وجل جلها بمعنى الجدل المذموم المنهي عنه شرعاً، وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر:٥)، فالجدل هنا عبارة عن نقاش لا يقصد منه إظهار الحق،وإنما المقصود المعاندة والانتصار للباطل، ولم يذكر بمعنى الجدل المحمود الذي يقصد منه بيان الصواب إلا في خمسة مواضع هي:

١. قول الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(هود:٣٢)، فنبي الله نوح جادل قومه ليبين لهم الحق، ويقنعهم بالحجة والموعظة الحسنة، وهذا من أجل ما يدور حوله الجدل والنقاش.

٢. قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود:٧٤ــ٧٥)، فأبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا يجادل إلا بالحسنى من أجل بيان الحق.

٣. قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥)، فأمر الله عز وجل لنبيه ﷺ بجدال قومه بالتي هي أحسن فيه دليل واضح على أن الجدال منه ما هو ممدوح، ومنه ما هو مذموم.

٤. وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٦)، فيه توجيه إلى محاورة أهل الكتاب بالحسنى.

٥. قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١). شكت خولة بنت ثعلبة إلى النبي ﷺ زوجها أوس بن الصامت لما ظاهر منها، وهي لا تدري ماذا تفعل فأنزل الله جل وعلا قرآناً يتلى؛ فيه بيان للمنهج الحق الذي ينبغي أن يتبع، وقد سمى القرآن ما دار بينها وبين النبي ﷺ جدلاً، وظاهر الآية واضح في المساواة بين الجدل والحوار وإن كنا نلمح فرقاً دقيقاً بينهما ففي الأولى ﴿تُجَادِلُكَ﴾ تناسب حالة خولة المكروبة المترقبة الملحة في شرح قضيتها، وفي الثانية ﴿تَحَاوُرَكُمَا﴾ تنسجم مع تجاوب النبي ﷺ وحرصه على التخفيف عنها.

المناظرة

قال العلامة الشنقيطي فالمناظرة في اللغة: (المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر للآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم

أو غلبة ظن وهي في الاصطلاح: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق)[٨].

المكابرة

المكابرة هي: المنازعة في المسائل العلمية لإلزام الخصم مع العلم بفساد قوله وصحة قول صاحبه.

قال أبو البقاء: (المجادلة: هي المنازعة في المسائل العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا، وإذا علم بفساد كلامه وصحة صاحبه فنازعه فهي المكابرة)[٧].

قال العلامة أبو زهرة رحمه الله تعالى: (تدور على الألسنة عبارات المناظرة، والجدل، والمكابرة، وأحياناً تطلق إحداها في موضع الأخرى، والحق أن بينهما اختلافاً واضحاً في الاصطلاح: فالمناظرة يكون الغرض منها: الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه.

والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال.

والمكابرة: لايكون الغرض منها إلزام الخصم، ولا الوصول إلى الحق بل اجتياز المجلس، والشهرة أو مطلق اللجاجة، أو غير ذلك من الأغراض التي لا تغني في الحق فتيلاً) [٩].

المحاجة

المحاجة هي: المنازعة والمجادلة قال في المعجم الوجيز: (حاجه) محاجة وحجاجا جادله وفي التنزيل العزيز ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾)[٥].

وقد ذكرت المحاجة بمعنى الجدل في القرآن الكريم كما في قول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٥ -٦٦).

وورد الجدل في موضع المحاجة كما في قول الله تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (النساء:١٠٩).

المراء

والمراء: نوع من الجدل ولكنه غالباً ما يطلق على الجدل بالباطل قال ابن منظور: (والمِراءُ المُماراةُ والجدَل،والمِراءُ أَيضاً من الامْتِراءِ والشكِّ وفي التنزيل العزيز ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ﴾) [٤].

وفي الاصطلاح قال الجرجاني: (المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير) [٦].

قال الدكتور علي جريشة: (الجدال، والمحاجة، والمراء.. جاءت مترادفة بمعان متقاربة، وأنها إذا أطلقت فإنها تعني الشيء المذموم، وأن ترتيبها في أداء معنى الذم تأتي في مقدمته المراء ثم المحاجة ثم الجدل) [٨].

المناقشة

المناقشة حوار يتضمن محاسبة قال الزبيدي: (إن أصل المناقشة هي: إخراج الشوكة من البدن بصعوبة ثم صارت حقيقةً في الاستقصاء في الحساب كصعوبة إخراج الشوكة المذكور) [١٠].

وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ) قَالَتْ قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾قَالَ: (ذَلِكِ الْعَرْضُ) [*]

قال الحافظ في بَابُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ: (وَالْمُرَادُ بِالْمُنَاقَشَةِ: الِاسْتِقْصَاءُ فِي الْمُحَاسَبَةِ، وَالْمُطَالَبَةِ بِالْجَلِيلِ وَالْحَقِيرِ، وَتَرْكُ الْمُسَامَحَةِ، يُقَالُ انْتَقَشْتُ مِنْهُ حَقِّي أَيْ: اسْتَقْصَيْتُه)[١١].

هذه بعض الألفاظ التي يكثر تداولها للتعبير عن الموضوع الذي نحن بصدد الحديث عنه، وهي

*الحديث أخرجه البخاري في كتاب « الرقاق» باب « من نوقش الحساب عذب» برقم (٦٥٣٦) راجع فتح الباري ٦١٢/١٤، ومسلم في كتاب «الجنة...» باب «اثبات الحساب» برقم (٢٨٧٦) راجع النووي ٢٢٥/٩.

تعبيرات يستخدم الناس بعضها مكان بعض لتقاربها في المعنى ولكنها عند إمعان النظر في مدلولها نجد أن لها فروقا دقيقة، فما يدور بين الناس من كلام إن كان فيه تجاوب فهو: الحوار، وإن احتوى على تجاذب وشدة لنصرة ما يراه حق فالجدل، وإن تقابل المتحاورون ليعرض كل واحد منهما أدلته لبيان صواب قوله و خطأ قول صاحبه رغبة في الوصول إلى الحق فهي: المناظرة، وإن عرض المحاور أدلته لمجرد بيان أنه على الحق فهي: المحاجة، وإن كان هدف المتحدث تخطئة صاحبه وتحقيره وليس له هدف آخر فهو: المراء، فإن كان يعلم بفساد قوله فهي: المكابرة، وإن احتوى الكلام على محاسبة واستقصاء فهي: المناقشة وللموضوع ألفاظ أخرى تستخدم في بابه كالمباحثة، والمفاوضة وغيرها بما يشهد على ثراء الموضوع، وأهميته.

الحوار الممدوح والحوار المذموم

لما كان الدين الإسلامي يمثل المنهج الكامل الذي يلبي حاجة الناس، بما يضمن صلاح المجتمع ولا يتعارض وما يريده منهم الله عز وجل؛ لذلك فإننا نجد أن تعاليمه تتوافق وما فيه الخير لهم، ويدعم الترابط الأخوي بينهم وفي مجال الحوار نجد أن النصوص الشرعية تعطي ما يصدر عن الناس من كلام أهمية عظمى وتبين خطورة عدم الشعور بالمسؤولية عند التلفظ به يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق:١٧- ١٨)، فالله جل وعلا يرشد إلى أن ما يتكلم به المرء من كلام لا يلقيه من فمه إلاّ كان عنده ملك يرقب قوله ويكتبه ﴿ لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ أي: حافظ متتبع لأمور الإنسان يكتب ما يقوله من خير وشر، فكاتب الخير هو ملك اليمين، وكاتب الشرّ ملك الشمال. وقوله ﴿ عَتِيدٌ ﴾: أي حاضر مهيأ للكتابة في أي وقت،ولا يخفى ما في ذلك من دليل على أهمية الكلمة، وتحذير من عواقبها إن وظفت في الشر. ولقد وجه الله عز وجل الناس إلى طرق الخير التي ينبغي أن يصرفوا إليها حديثهم قال الله عز وجل: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٤)، فالآية تقرر أنه لا خير فيما يدور بين الناس من حديث إلا ما أدى إلى خير، وحسن عاقبة، وقد حصرت الآية أعمال الخير في ثلاثة أشياء هي: ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ ولقائل أن يقول كيف ذلك وأعمال الخير من الكثرة والتجدد بحيث يصعب حصرها؟ والإجابة عن ذلك في تأمل الآية فمفهوم الصدقة أعم وأشمل من كونها دفع المال لمن يستحقه كما وضح ذلك رسول الله ﷺ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى»(*) وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ المعروف هو: كل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وبالتالي فإنه يشمل على كل صنوف الخير التي يمكن أن يفكر فيها الناس بلا حصر، ثم في قوله ﴿ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ معالجة لما قد يقع بينهم من نزاعات تتعدد أسبابها ودوافعها، وهكذا تكون الآية قد جمعت كل صنوف الخير التي يمكن أن تكون محور حديث الناس.

الحوار المحمود

قال زاهر عواض الألمعي: (لكل أمر دافع وطريقة ونتيجة. ولابد من سلامة الثلاثة ليكون الأمر صحيحاً، فالجدل المحمود: هو ما كان بنية خالصة

* أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى برقم (٧٢٠) انظر شرح النووي ٢٤٩/٣.

وجرى بطريقة صحيحة، وأدى إلى خير، أو يقال هو كل جدال أيد الحق، أو أفضى إليه بنية خالصة وطريق صحيح) (١٢).

فإذا استلهمنا الآية الكريمة واستفدنا مما قاله الألمعي نقول:

الحوار المحمود: هو ما يصدر عن الناس من كلام فيه حض على الخير، أو إظهار لحق، أو إصلاح بَين، بطريقة سديدة، ونية خالصة.

الحوار المذموم

وبالتالي فإن الحوار المذموم هو: كل ما يدور بين الناس من كلام منكر أو أدى إلى منكر.

حكم الحوار

استدل العلماء على مشروعية الحوار بقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت:٤٦)، وبقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥).

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى عند كلامه على حكم المناظرة، وهي نوع من الحوار: (حكمها: فأقل حكمها الجواز إن كانت على الوجه المطلوب، وقال بعضهم باستحبابها. وقيل إن القدر الذي يلزم لإبطال شبه خصوم الحق فرض كفاية وليس ببعيد والله أعلم)(٨)، ولاحظ قوله رحمه الله تعالى (على الوجه المطلوب)، وذلك لأنها إن لم تكن على الوجه المطلوب كأن يكون الحوار من الطرفين أو أحدهما عن جهل بالمسألة محل الحوار أو المناظرة اتجه القول بالمنع لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء:٣٦)، وقد يتجه القول بالوجوب العيني على الشخص المؤهل للرد على شبه الخصوم إن لم يكن هناك غيره والله أعلم.

أهمية الحوار

نستطيع أن نقف على أهمية الحوار، بالإطلاع على الدور الذي يؤديه في إثراء الحياة الفكرية، ودفع الناس إلى التنمية والتقدم، ودعم الأمن والاستقرار، وذلك على المستوى الشخصي والاجتماعي على حد سواء.

فالإنسان الذي ميزه الله عز وجل بالعقل، ومنحه الأدوات التي تمكنه من استخدامه في تنمية قدراته، وصقل مواهبه، ينبغي أن يكون في حالة حوار دائم هادف و جاد مع نفسه أولاً، ثم مع من حوله من المحيطين به ثانياً؛ ليكتشف ذاته، ويتعرف على الدور المنوط به، ثم بعد ذلك يتفاعل مع الآخرين لدفع عجلة الحياة في الطريق الصحيح بسهولة ويسر، وأمن وسلام.

ولقد تنبه الناس من قديم إلى أهمية الحوار في دفع حركة الحياة؛ فوضعوا له الأصول والضوابط التي تحكم حركته، وتعمل على تجنب الخطأ الناتج عن الاختلاف في المدارك والتوجهات، وحرصوا على تطويرها بحسب الزمان والمكان بما يدل على أهمية الحوار.

كما أن الفوائد المترتبة على الحوار الهادف الجاد تعتبر خير شاهد على أهمية الحوار وضرورته لإثراء الحياة في كل المجالات؛ لذلك سأحاول أن أبين أهمية الحوار من خلال هذه المعاني.

الحوار مع النفس

قال الله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٨٤)، فظاهر الآية يقرر أن الله عز وجل يحاسب الإنسان على ما يدور في نفسه أظهره أو أخفاه، لذلك لما نزلت الآية صعب الأمر على الصحابة رضي الله عنهم لأن للنفس خواطر لا ينجو منها أحد روى الإمام أحمد عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ يَا

أَبَا عَبَّاسٍ كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فَبَكَى قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ قُلْتُ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ حِينَ أُنْزِلَتْ غَمَّتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَمًّا شَدِيدًا وَغَاظَتْهُمْ غَيْظًا شَدِيدًا يَعْنِي وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْنَا إِنْ كُنَّا نُؤَاخَذُ بِمَا تَكَلَّمْنَا وَبِمَا نَعْمَلُ فَأَمَّا قُلُوبُنَا فَلَيْسَتْ بِأَيْدِينَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، قَالَ: فَنَسَخَتْهَا هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إِلَى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ فَتَجُوَّزَ لَهُمْ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَأُخِذُوا بِالْأَعْمَالِ)(*)، ويؤيد هذا المعنى ما أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله –ﷺ– قال: «إنَّ الله تعالى تجاوزَ لأُمَّتي ما حدَّثَتْ به أنفُسَها، ما لم يَعْمَلُوا به أو يتكلَّمُوا»(**) فحديث النفس حوار يؤاخذ عليه المرء إذا أدى إلى اعتقاد فاسد، أو عزم على معصية، أما الخواطر والوساوس فإنها ليست في الطاقة التحرز منها، لذلك لم تكن محل مؤاخذة طالما لم تدخل دائرة العمل.

وحديث النفس أو الحوار مع النفس من الأهمية بمكان، وذلك لأنه متى أحسن الإنسان صياغة هذا الحوار، ونجح في توجيهه والاستفادة منه، كان كالمقدمة لنجاحه في حواراته الأخرى؛ ومن أجل ذلك نجد أن الكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة توجه الإنسان إلى ما ينبغي أن يكون حاضراً في فكره، ومحور حواره مع نفسه قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ (الروم:٨)، فالله عز وجل يحث الناس على التفكر والتدبر في أنفسهم، كيف أوجدهم الله جل وعلا من العدم ثم خلقهم أطواراً ثم أخرجهم طفلاً ليتدرج بهم من ضعف الطفولة إلى قوة الشباب ثم ليعود بهم بعد ذلك من القوة إلى الضعف، ويلفت انتباههم إلى خلق السماوات والأرض وأنها لم تخلق عبثاً، وإنما خلقت لحكمة عظيمة، وفق تقدير دقيق، وأنها دليل واضح على قدرة الله تعالى المطلقة، وعلمه الكامل، وأنها تبقى لأجل محدود تنتهي عنده. إن التفكر في خلق الإنسان ومآله، وفي خلق السماوات والأرض وما أودعه فيهما من دلائل قدرته ينبغي أن يكون محور حديث الإنسان مع نفسه، ولنتأمل معي كيف يوجه القرآن الكريم الإنسان إلى استحضار الحقائق التي ربما تغيب عنه في بعض الأوقات فتنسيه ما ينبغي أن يكون عليه من التواضع لله تعالى، ومعرفة حقه عليه، وأنه مهما أوتي من قوة مخلوق ضعيف سيميته الله عز وجل ثم يبعثه مرة أخرى ليحاسبه على كل شيء عمله حتى ما أخفاه في نفسه قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ (الطارق:٥ – ١٠). لتكرر قراءة الآيات مرارا لترى ما فيها من تحريك للفكر – حوار الإنسان مع نفسه – وتوجيه للسلوك ينعكس على علاقة الإنسان بخالقه، وبنفسه وبمن حوله. ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ (عبس: ١٧ – ٢٣)، من أكثر الأمور التي تجعل الإنسان ينحرف عن الصواب الغفلة، وعلى وجه الخصوص غفلته عن حقيقة أمره، ومصيره المحتوم؛ لذلك فإن الله عز وجل يذكرنا بهما كثيراً ويحثنا على أن نتفكر فيهما دائماً فقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ أي: لعن هذا الإنسان

* أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٣٦/٣ برقم (٣٠٧١).

** أخرجه البخاري في كتاب «الطلاق» باب « الطلاق في الإغلاق..» برقم (٥٢٦٩) انظر فتح الباري ٦٧/١٢، ومسلم في كتاب « الإيمان» باب « تجاوز الله عن حديث النفس» برقم (١٢٧) انظر شرح النووي ٤٢٣/١.

الكافر الجاحد بنعمة الله عليه،ثم يذكر الله تعالى لافتا إلى قدرته المطلقة، وفضله العظيم على الإنسان ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ ثم يبين الله تعالى بعد ذلك أن الهداية منه، والمآل إليه،وأنه سبحانه سيبعث عباده بعد موتهم ليحاسبهم على ما اقترفوه من عمل قال تعالى: ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ كل هذه الحقائق الواضحة ومن الناس من يكفر بنعمة الله تعالى ولا يقوم بما أوجبه الله عليه قال الله تعالى﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ فالآيات تدعو الإنسان لأن يعيش هذه المعاني، وإن شئت فقل تدعوه لأن يجعلها موضوع حواره مع نفسه، ولو ذهبنا نستقصي ما في القرآن الكريم من الآيات التي توجه الفكر، لطال بنا المقام،وكذلك السنة المطهرة لذلك سأكتفي منها بما رواه الترمذي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»(*) وَمَعْنَى قَوْلِهِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ أي: حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولهذا نجد أن الصحابة فهموا هذا الأمر جيداً، واتخذوه منهجا لحياتهم روى ابن أبي الدنيا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(١٢) وذكر عن الحسن أنه قال: « إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته »(١٣)

إن معرفة الإنسان لنفسه، وبالطريق الأمثل الذي عليها أن تسلكه؛ نجاح له في التعامل معها قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل» (١٤)، كما أن بمعرفته بذاته تسهل عليه معرفة الآخرين والاستفادة منهم، والتعامل معهم وإن شئت قل: نجاح المرء في الحوار مع ذاته نجاح لحواره مع الآخرين.

الحوار مع الله عز وجل

المسلم في حوار دائم مع الله عز وجل فنداء الله سبحانه وتعالى للناس في كتابه الكريم تكرر كثيراً ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:٢١)، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة:١٦٨)، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)، ومنه قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان:٣٣)، والمسلم الذي ذاق حلاوة الإيمان عندما يقرأ القرآن ويمر بهذه الآيات يسارع مجيباً بلسان الحال قبل المقال السمع والطاعة لك يا رب الناس، وإذا كان خطاب الله تعالى باللفظ المحبب لنفوس المؤمنين المشعر بلذة القرب منه سبحانه وتعالى كما في قول الله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩)، وكما في قوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت:٥٦)، وكما في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر/٥٣)، عندها تكمل سعادتهم

* أخرجه الترمذي في كتاب « صفة القيامة» ٦٣٨/٤ برقم (٢٤٥٩). قال سليم الهلالي: له شاهد من حديث أنس أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٤٥) وقال: عون بن عمارة ضعيف، وقال الهلالي: أوردت شيئا من فقهه على ضعفه لأن أصول الشريعة ومقاصدها تشهد له. أنظر بهجة الناظرين ١/١٤٠.

وتتم فرحتهم قَال الْقَاضِي عِيَاضٍ رحمه الله تعالى:

وَمِمَّا زَادَنِي عَجَبًا وَتِيهًا
وَكِدْت بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِك يَا عِبَادِي
وَأَنْ صَيَّرْت أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا

يخاطب الله تعالى عباده هادياً، ومذكراً، ومحركاً للمشاعر والأفكار، وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة:٥٨ – ٧٤)، فمن تأمل الآيات وجد العبرة والعظة وقوة الحجة، ومن عاش مع الخطاب ذاق لذة القرب من الله تعالى وحلاوة الحديث معه،والنماذج على مثل ذلك كثيرة منها سورة الرحمن هذه السورة العظيمة التي، افتتحها الله جل وعلا باسمه (الرحمن) الدال على صفة من صفاته المحببة إلى عباده ليدلل على سعة رحمته، وأثرها الملموس على خلقه بما أوصله إليهم من النعم الدينية والدنيوية والأخروية، ثم يقررهم الله عز وجل ويثير عجبهم ممن يجحد فضله ولا يقوم بحقه بعد ذكر كل جنس ونوع من نعمه بهذا السؤال ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾. لذلك روى البيهقي في دلائل النبوة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ سورة (الرحمن) حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتا، لَلْجِنّ كانوا أحسن منكم ردًا، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك – أو نعمك– ربنا نكذب، فلك الحمد»(*)، فالجن لما استشعروا الحوار، أحسنوا الجواب فأثنى عليهم رسول الله ﷺ .

حوار العبد مع خالقه دائم لا ينقطع، إذا قرأ القرآن كان في حوار مع الله تعالى، وإذا قام إلى الصلاة كان في مناجاة ما أجملها، وما أحلاها روى البخاري عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ فَلا يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ»(**)، فالصلاة حوار يظهر عمق الصلة بين العبد وخالقه، حوار فيه تجاوب ورغبة فيه حب ورهبة، حوار يؤسس لكل المعاني الجميلة التي يتمناها الناس، لأن الإنسان إذا أحب خالقه وأدى حقه، عرف الحب الحقيقي الجالب لكل خير، وعرف لمن يبذل هذا الحب، وكان ذلك سبباً في أداء حقوق الآخرين، روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ:﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ:﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) (***)

المسلم في تواصل دائم مع الله تعالى في كل وقت وعلى أية حال وهو في ذلك يستحضر ما جاء

---

* دلائل النبوة ٢٣٢/٢، قال في صحيح الجامع (حسن) ٩١٤/٢ برقم (٥١٣٨).

** أخرجه البخاري في كتاب «مواقيت الصلاة» باب « المصلي يناجي ربه» برقم (٥٣١)، انظر فتح الباري ٤١١/٢.

*** أخرجه مسلم في كتاب « الصلاة» باب «وجوب قراءة الفاتحة» برقم (٣٩٥) انظر شرح النووي ٣٣٦/٢.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» (٥)

إن توثيق الصلة بالله تعالى دأب أصحاب العقول الواعية، والنفوس الزاكية، العارفين بأن الله عز وجل لم يخلق المخلوقات عبثاً، بل لحكمة بالغة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران:١٩٠ – ١٩١)، وفي قطع هذه الصلة سوء الحال والعاقبة قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ (طه:١٢٤ – ١٢٥)، وفي قوله تعالى ﴿ عَن ذِكْرِى ﴾ تنبيه على المرجع الأساسي الذي يرجع إليه في ترشيد الحوار، وضبط السلوك قال ابن كثير رحمه الله: في قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ (أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه) (١٥)

هذه الصلة بالله تعالى هي سبب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ومنها يستمد قوة اليقين والحجة والبرهان، وبها يهتدي إلى طريق السؤدد والسداد،من خلالها يعيش الطمأنينة وراحة البال روى أبو نعيم عن مسلم بن يسار قال: (ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل) (١٦)، وروى أيضاً عن ثور بن يزيد، قال: قرأت في التوراة أن عيسى عليه السلام قال: (يا معشر الحواريين كلموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلاً، قالوا: كيف نكلم الله كثيراً ؟ قال: اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه) (١٦).

الحوار مع الآخر ضرورة حتمية

شاء الله عز وجل أن يخلق الناس متفاوتين في حاجاتهم، وأذواقهم، وطاقاتهم الذهنية والبدنية، مختلفين في أشكالهم، وطرق تعبيرهم قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢)، واقتضت حكمته البالغة سبحانه وتعالى أن يتوقف دوام الحياة على ما قدره لها من أسباب البقاء، ومنها العلاقة بين عنصري المجتمع الإنساني، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، وبين سبحانه وتعالى إن الناس جميعاً على اختلاف أشكالهم وألوانهم وطوائفهم في الأصل ينتمون لأسرة واحدة، فأبوهم آدم وأمهم حواء، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)، وأرشد الله عز وجل إلى أن هذا التنوع، وهذا التفاوت ينبغي أن يكون للتعارف، والتنافس فيما يعود على الناس بالخير في عاجل أمرهم وآجله قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣)، فالله عز وجل يخبر بأنه جعل الناس شعوباً وقبائل، لا ليتفاخر بعضهم على بعض، ولا ليلعن بعضهم بعضاً، وإنما ليسهل عليهم التعارف فيما بينهم،، وليتعرف بعضهم على ما عند البعض الآخر من صالح الأعمال، ومحاسن الخصال، وليعلموا أن الفضل لا يكون بالحسب والنسب، وإنما

• أخرجه البخاري في كتاب « التوحيد» باب «قول الله تعالى « ويحذركم الله نفسه» برقم (٧٤٠٥) أنظر فتح الباري ٢٦١/١٧، ومسلم في كتاب « الذكر والدعاء» باب « الحث على ذكر الله « برقم (٢٦٧٥) انظر شرح النووي ٥/٩.

يكون على قدر ما عند الناس من أفعال طيبة وصفات حميدة، ضابطها الداعي إليها تقوى الله عز وجل قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى: (قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ لما كان قوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ يدل على استواء الناس في الأصل، لأن أباهم واحد وأمهم واحدة وكان في ذلك أكبر زاجر عن التفاخر بالأنساب وتطاول بعض الناس على بعض، بين تعالى أنه جعلهم شعوباً وقبائل لأجل أن يتعارفوا أي يعرف بعضهم بعضاً، ويتميز بعضهم عن بعض لا لأجل أن يفتخر بعضهم على بعض ويتطاول عليه. وذلك يدل على أن كون بعضهم أفضل من بعض وأكرم منه إنما يكون بسبب آخر غير الأنساب)[١٧]. ولنتأمل هنا الحكمة في جعل الناس مختلفين، فلو كانوا نسخة واحدة ما تميز بعضهم على بعض، ولما وجد الداعي للتعارف والتفاعل. ثم تقدير كونهم شعوباً وقبائل، ومن ثم إرشادهم أن هذا التنوع للتعارف وليس للتنافر والشقاق، وأن سبيل التفاضل بين الناس هو في مقدار صلتهم بالله عز وجل وإقدامهم على ما يرضيه؛ فيه دليل على أن للتعارف مقصود أبعد من كونه تعارف أشخاص، ولا يخفى على المتأمل ما في ذلك من دعوة لتلاقي الأمم، وتفاعل الحضارات لما فيه خير البشر وصلاحهم، وأن الضابط الذي يضبط به هذا التواصل ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾.

الحياة تفاعل بين الناس فيما يملكونه من أفكار وطاقات، وهذه الإمكانيات إن لم توجه فيما يعود على الناس بالخير فسدت الحياة، وآل مصيرها إلى زوال لذلك يوجه الله جل وعلا لأن يكون هذا التدافع في الطريق الصحيح قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة:٢٥١)، فحركة الإنسان في الكون ينبغي أن توجه لاستكشاف ما فيه من أسرار، واستخراج ما في باطنه من كنوز، وتوظيف ما يحصل عليه في مصالح الناس بما يرضي الخالق عز وجل، فإن انحرف بعضهم عن طريق التعمير والإصلاح وجب دفعه وإلا لفسدت الأرض وهلك الناس، والتاريخ شاهد على أن انهيار الحضارات، وهلاك الأمم كان بسبب بعدهم عن طريق الحق والصواب وقد سجل القرآن الكريم ذلك، وبين أن استمرار الحياة بسبب بقية من أهل الخير الداعين للهدى الناهين عن الفساد قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ (هود:١١٦).

إن التفاوت بين الناس في المطالب، والإمكانيات، والحاجات، ووجوب التواصل بينهم لدوام الحياة، واستمراريتها، و لزوم التدافع فيما بينهم للحفاظ على المكتسبات وتنميتها وتطويرها وحمايتها من الفساد، هذا وغيره مما اقتضته إرادة الله عز وجل سببا لبقاء الحياة يجعل من الحوار ضرورة حتمية للتفاهم، والحفاظ على المكتسبات، ومقاومة الفساد.

تاريخ الحوار

خلق الله عز وجل الإنسان، وخلق له العقل واللسان وجعل له إرادة،ومنحه القدرة على التمييز بين ما هو طيب نافع، وما هو خبيث ضار، وعلمه البيان، وشاء الله عز وجل أن يكون الناس متفاوتين في إمكاناتهم متباينين في رغباتهم،ومع ذلك يعيشون على أرض مشتركة، وتظلهم سماء واحدة،ويدينون بالطاعة لإله واحد، وينتظرهم مصير واحد،لذلك كان الحوار ظاهرة لازمت الإنسان منذ خلقه الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا

عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (الأعراف:١٩ – ٢٤)، خاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان بعد أن علمه أصول الخطاب، وأتاح له الحوار مع غيره من المخلوقات كالملائكة، والجن، لذلك فإن الحوار ظاهرة عالمية، إن أحسن الناس استخدامها عادت عليهم بالخير، وإلا فلا، وفي ذكر الآيات السابقة لحوار آدم مع الله جل وعلا، ومع عدوه اللدود الشيطان الرجيم، توجيه وتحذير، توجيه بأن يكون الإنسان موصولاً دائماً بالله عز وجل يذكره، يناجيه، وأن الخير كله في التواصل مع الله تعالى، وتحذير من وسوسة الشيطان وأن في التجاوب معه الخسارة وسوء العاقبة.

وجد الحوار منذ اللحظة الأولى لوجود الإنسان واستمر معه إلى اليوم وقد تنبه العقلاء إلى أهمية هذا الأمر، وضرورة العناية به وتوجيهه الوجهة التي تجعله ذا جدوى، ومن ذلك وضع قواعد وأصول وآداب تضبط عمل المتحاورين، ليسهل عليهم الوصول إلى الحق، وليتمكنوا من حسم الخلافات، وفض النزاعات، وليقطعوا الطريق على المضللين وأهل العناد. ويشير الباحثون في آداب البحث والمناظرة (الجدل) إلى أن أول من صنف في هذا الأمر هو: الفيلسوف اليوناني أرسطو، وقد ألف في ذلك كتاباً أسماه (كتاب الجدل) [٨]، قال الشهرستاني: (وإنما سموه المعلم الأول؛ لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل؛ وحكمه حكم واضع النحو، وواضع العروض فإن نسبة المنطق إلى المعاني التي في الذهن كنسبة النحو إلى الكلام، والعروض إلى الشعر. وهو واضع، لا بمعنى أنه لم تكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها؛ بل بمعنى أنه جرد آلته عن المادة فقومها تقريباً إلى أذهان المتعلمين؛ حتى يكون كالميزان عندهم، يرجعون إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ، والحق بالباطل. إلا أنه أجمل القول فيه إجمال الممهدين، وفصله المتأخرون تفصيل الشارحين. وله حق السبق، وفضيلة التمهيد)[١٨]، ويفهم من كلام الشهرستاني أن قواعد المنطق توجد عند الإنسان بالفطرة، وأن كل ما عمله أرسطو هو إخراج هذه القواعد في صورة مرتبة ممنهجة يسهل على الباحثين تداولها، ولم يكن المسلمون في صدر الرسالة بحاجة لعلم المنطق، لاستغنائهم بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة عما سواهما،وبعد انتشار الترجمة في العصر العباسي، وانتقال علم الفلسفة والمنطق بسلبياتهما، ظهرت الفرق الكلامية، وظهرت معها أفكار لم تكن موجودة من قبل مما دفع علماء الإسلام إلى الدراسة والتأليف فيهما لوضع أصول للحوار لا تتعارض وثوابت الشريعة،وتعين الباحث في الرد على شبه الخصوم، يقول ابن خلدون: (وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال. ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره. وهي طريقتان: طريقة البزدوي، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال، وطريقة العميدي، وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان، وأكثره استدلالاً)[١٩]

برع المسلمون في تأليف الكتب التي تضع الضوابط لحوار منظم يقود إلى إظهار الحق، وقد غلب عليها التسمية بلفظ الجدل، أو البحث والمناظرة، مثل كتاب الجدل لابن سينا، وكتاب الجدل على طريقة الفقهاء لابن عقيل الحنبلي، ومختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب، وتاريخ الجدل لأبي زهرة، وآداب البحث والمناظرة للشنقيطي، وفي الآونة الأخيرة وبالتحديد بعد ظهور صراع الحضارات غلب لفظ الحوار على الكتب المؤلفة في هذا المجال، ولا يخفى ما في ذلك من مناسبة.

لم أقصد هنا التأريخ لموضوع الحوار ولكني أردت أن ألفت الانتباه إلى أهميته في حل المشكلات، وإزالة الغموض، وتوضيح الحقائق؛ وذلك لأن أرسطو وضع أصول علم المنطق، لما استخدم السوفسطائيون المنطق كفن للجدل والمغالطات، والتشكيك في الحقائق، وبنفس الطريقة عندما ظهرت الفرق الكلامية في العصر العباسي، وأعلنت عن أفكار غريبة، مخالفة لثوابت الدين الإسلامي، وهي في ذلك متأثرة بما وفد إليها من فلسفة ومنطق اليونان؛ عندها تصدى علماء المسلمين للفكر الوافد، والمتأثرين به. فصنفوا الكتب التي تؤصل لقواعد تضبط الحوار، وتزيل اللبس، وتجلي الحقيقة، وتكشف الباطل. وما أشبه الليلة بالبارحة فعندما تكالب الحاقدون على الإسلام وأهله اليوم، لوسمه بالإرهاب والتخلف، وعدم قدرته على التعامل مع المستجدات، هب المسلمون من كل مكان، وعلى كافة المستويات للتأليف في فن الحوار لبيان أن الإسلام دين يحترم العقل،ويملك الحجة والبرهان للتدليل على مصداقية مبادئه، وأنه قادر على مواكبة التقدم الحضاري، والتعاطي مع منجزاته. ومن المسلم به أن الناس يحتاج بعضهم لبعض، نحن بحاجة لهم، وهم أكثر حاجة لما عندنا، فالكون لنا جميعاً، وعلينا أن نجتهد لتعميره، وأن نواجه كل من يسعى في إفساده. لذلك لابد من الحوار ليستفيد الجميع، هذا وإلا فالدمار.

ولا أجد ابلغ في التدليل على أهمية الحوار من وضعه في مقابل الدمار.

فوائد الحوار

الحوار آلية لابد منها لدوام حركة الحياة، في الأسرة، في العمل، في الحكم وشؤون السياسة، في الإعلام، في الدعوة إلى الإصلاح لابد من الحوار، للتصالح مع النفس وتوثيق الصلة بالله تعالى لابد من الحوار، لتنمية الفكر والتشجيع على الإبداع لابد من الحوار، لتوفير الوقت، لابد من الحوار؛ لذلك فإن للحوار فوائد متعددة أجمل بعضها في النقاط التالية:

من فوائد الحوار

١. توثيق العلاقات بين أفراد المجتمع. فالصلة بين الوالدين وأبنائهما، والزوج وزوجته، والجار وجاره، والمسؤول والعاملين معه، والراعي والرعية إذا خلت من الحوار الهادف الجاد المبني على الود، والحرص على المصالح كانت علاقات هشة جامدة، عرضة لحصول الخلافات لأتفه الأسباب.

٢. حل المشاكل، وإزالة العقبات. يتفاوت الناس في مداركهم ومشاربهم، ومع هذا التفاوت تظهر بعض المشاكل لا تحل إلا بوضعها على طاولة الحوار.

٣. فهم الآخر والاقتراب منه. ففي الحوار يحصل التعارف بين المتحاورين، وبمقدار ما يكون بينهم من التفاهم يكون اقترابهم وائتلافهم، ومن هنا ندرك أهمية تنظيم عملية الحوار بما يساعد على التوافق، ونبذ الخلاف.

٤. تراكم الخبرة، وتنمية الطاقات. فالحوار تواصل بين الأفكار، وفي التواصل الفكري إضافة للمخزون المعرفي لدى المتحاورين، وتنمية لإمكاناتهم.

٥. الإدارة الناجحة. فالمدير الناجح هو الذي يصدر الأوامر، ويبلغ التكاليف للعاملين معه في صورة حوار ودي يشعر المتلقين منه بأنهم شركاء في العمل والمسؤولية وأن ما يقومون به نابع من

قناعتهم ورضاهم، ولك أن تتصور كيف تكون العلاقة بين أفراد المؤسسة، وكيف يكون سير العمل نتيجة لذلك.

٦. الحصول على معلم متميز، ومحاضر موفق. نعم فإن الحوار الهادف يمكن أن يستخدم لتهيئة المتلقي،ويعد أيضاً وسيلة إيضاحية هامة،وهذا هو سر نجاح الكثيرين من المحاضرين والمعلمين، ولقد استخدم النبي ﷺ الحوار في التهيئة والتوضيح أفضل استخدام.

٧. تقديم خدمة إعلامية مميزة. لا يتصور إن تقدم وسائل الإعلام رسالتها الإعلامية بدون حوار يعالج مشاكل الناس، أو يرفع من مستوى ثقافتهم، أو حتى يروح عنهم.

٨. تنمية الفكر. فمن أهم ما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات الفكر، والفكر لا ينمو ويزدهر إلا بحوار مع النفس، والكون، و الآخرين.

٩. توثيق الصلة بالله عز وجل وقد سبق بيان ذلك بشيء من الإيجاز عند الحديث عن الحوار مع الله.

١٠. التصالح مع النفس، والكشف عن حقيقتها. لأن في النفس أمور فطرية، وفي نفس الوقت عندها القدرة على الاكتساب،وتنمية ما بالفطرة من نوازع الخير، وزجرها عن الشر يحتاج إلى حوار دائم قائم على العلم المصون بضوابط الشرع الحنيف.

١١. المحافظة على الوقت. وذلك لأن الحوار الناجح يفض الخصومة، ويوجب التسامح، ويزيد في المعرفة والخبرة، وهذه أمور تبعث على توفير الوقت، وعدم هدره.

١٢. الدعوة إلى الله تعالى، والدفاع عن ثوابت الدين الإسلامي. فمن أفضل وسائل الدعوة الحوار الهادف، الذي يعرض حقائق الإسلام، ويفند افتراءات خصومه.

١٣. تفعيل ما منحه الله عز وجل للإنسان من طاقات، فإن كان الحوار في الطريق الصحيح كان استخدام الطاقات من قبيل الاعتراف بفضل الله تعالى وشكره على نعمه.

أركان(*) الحوار

لا يتصور حواراً بدون متحاورين، أو موضوع محدد يدور حوله الحوار، ولا يمكن للحوار أن يكلل بالنجاح، ويؤتي ثماره المرجوة منه إلا بالإعداد الجيد لجلسة الحوار؛لذلك بعد الاستفادة مما كتب في هذا المجال، قمت بتقسيم ما يكتنف عملية الحوار إلى أركان وشروط وآداب لاستخدمها في معالجة الإطار الذي ينبغي أن تتم من خلاله عملية الحوار. ولما كان لكل شيء حقيقة يدل عليها وجوده، لذلك فإن وجود الحوار يتوقف على ركنين هما:

الركن الأول: موضوع يدور حوله الحوار

الركن الثاني: طرفا الحوار، سواء كان الحوار بين شخصين، أو مجموعتين، وربما كان الحوار بين مجموعة من المتحاورين يدلي كل واحد منهم بدلوه وعلى أية حالة كان الحوار فلابد من ضوابط تجعله مثمراً.

الركن الأول: موضوع الحوار

لإنشاء حوار هادف ومثمر لابد من تحديد الموضوع الذي سيدور حوله الحوار، والهدف الذي من أجله تم اختيار الموضوع ووضعه على طاولة البحث، والطريقة التي على أساسها سيتم تناول الموضوع، ومن الشروط (**) التي يجب توفرها في موضوع الحوار.

أولاً: الوضوح

لا بد من وضوح الموضوع في مخيلة المتحاورين؛ لأن منشأ الخلاف بين الناس يرجع إلى غموض الموضوع الذي هم بصدد الحديث عنه، وعدم

* الركن: لغة جانب الشيء الأقوى، وفي الاصطلاح: ما لا وجود لذلك الشيء إلا به. (معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ١٧٨/٢).

** الشروط جمع شرط، والشرط لغة: إلزام الشيء والتزامه في البيع والشراء (لسان العرب ٨٢/٧) وعند الأصوليين: هو ما لا يلزم من وجوده لذاته وجود ولا عدم، ولكن يلزم من عدمه عدم المشروط. أنظر مذكرة أصول الفقه ص ٤٣.

إحاطتهم به من كل جوانبه. كما ينبغي عليهم تحديد نقاط الاتفاق لتشكل بداية جيدة لبدء الحوار ،وتحديد نقاط الخلاف التي سيجري بحثها كل ذلك في عبارات واضحة لا لبس فيها، كما أن عليهم تجنب كل ما من شأنه أن يوقع في الإبهام المؤدي إلى غموض الموضوع، وذلك كالتعميم في موضع يحتاج إلى التعيين، أو الإجمال فيما حقه التفصيل ونحوه، أو استخدام عبارات مستحدثة غير مفهومة، أو استخدام اللفظ في غير ما وضع له.

ثانياً: المشروعية

وأعني بذلك أن لا يكون هناك محظور شرعي يمنع من تناول الموضوع، وذلك كالبحث في كيفية ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، روى ابن أبي حاتم عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله»(*)، أو أن يتضمن الموضوع إساءة للخالق جل وعلا أو كتابه الكريم قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٤٠)، ونحوه، كما ينبغي أن لا يكون محظوراً قانوناً، كالمواضيع التي تحظر الدول الكلام فيها مما يمس أمنها القومي، أو أن يكون الموضوع فوق مستوى إدراك الحاضرين بحيث يؤدي إلى تشكيكهم في معتقداتهم، أو تشويش أفكارهم روى البخاري تعليقاً عن عَلِي قَالَ: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)(**)، كما ينبغي أن لا يكون الموضوع مما يثير الفتن بين الناس أو يخدش حياءهم.

ثالثاً: الجدوى

إن تناول موضوعات لا فائدة فيها مضيعة للوقت، وتبديد للجهد؛ لذلك لا فائدة في الحوار حول أمر بديهي لا يسع العامي الجهل به، كما أنه لا جدوى من البحث في أمر إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به، وذلك كالبحث عن الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام، أي شجرة كانت؟ أو كلب أهل الكهف من أي فصيلة كان؟

الركن الثاني: طرفا الحوار

لا يدور حواراً بدون متحاورين، ولإنضاج حوار هادف وجاد يتمخض عن نتائج إيجابية لابد وأن تتوفر فيمن يقومون بهذه المهمة شروط تساعد في نجاح عملية الحوار، وقد ذكر الباحثون في هذا المجال هذه الشروط ضمن آداب الحوار، والحقيقة أن قدراً منها يجب أن يكون شرطاً في الحوار، لأنه بدون هذا القدر لا يمكن أن نحصل على حوار مثمر، يعمل على دعم العلاقات بين الناس، ويرفع من مستوى أدائهم.

الشرط الأول: النية الطيبة، وإن شئت قل حسن القصد

فالمحاور المسلم يعلم ما تعنيه النية بالنسبة له، فصحة العمل وفساده، وبالتالي قبوله أو رده متوقف على النية قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..)(***)، فلا شك أن المسلم لا يقدم على عمل إلا وهو يرجو من الله عز وجل أن يعينه عليه، وأن يوفقه للخير فيه، ثم قبوله منه، والنية شرط في صحة العمل؛ وإذا لم يكن صحيحاً رد، وغير المقبول كالمعدوم. وإذا كان المحاور غير مسلم فلابد أن يكون هدفه الوصول إلى

---

* الحديث رواه الطبراني في الأوسط ٣٨٣/٤ برقم (٦٣١٩) بإسناد ضعيف، وصححه الألباني بمجموع طرقه أنظر السلسلة الصحيحة ٣٩٥/٤ برقم (١٧٨٨).

** أخرجه البخاري تعليقا في كتاب « العلم» باب «من خص بالعلم قوما دون قوم»، انظر فتح الباري ٤٢٣/١.

*** أخرجه البخاري برقم (٨٨٧) راجع فتح الباري ٣٩٢/٣ ومسلم برقم (٢٥٢) راجع شرح النووي ١٤٣/٢.

الحق، أو تصويب خطأ، أو تقريب وجهات نظر، لنجاح عملية الحوار، لذلك فالقصد الحسن شرط يجب توفره في شخصية المحاور لتحقيق نتائج إيجابية.

الشرط الثاني: الأهلية

وذلك بأن يكون المحاور عاقلاً مميزاً يستطيع أن يعبر عن رأيه ويدافع عنه، ولقد امتدح الله عز وجل أصحاب العقول الواعية في مواطن كثيرة من كتابه الكريم قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران:٧)، أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أصحاب العقول السليمة، والأفهام المستقيمة. وعلى العكس من ذلك الأحمق فإنه يضر من حيث يريد النفع ذكر عن سلمان بن موسى قال: (ثلاثة لا ينتصف بعضهم من بعض، حليم من أحمق، وشريف من دنيء، وبر من فاجر)(*)، وعن الحسن قال: (هجران الأحمق قربة إلى الله عز وجل) (٢٠).

وقال الشاعر:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ
إِلَّا الْحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

ولا يقف حد الأهلية عند العقل والتمييز، فلا يجوز لمحاور أن يتحدث بلسان من لم يعطه الحق بذلك، ولا تقبل دعوى الأهلية لمجرد أن مدعيها يرى في نفسه ذلك، كما أنه ليس بأهل لأن يتحدث فيما لا يتقنه، أو يحتاج إلى تخصص يفتقده، وكل هذه المعاني تسلب المحاور دوره وتجعله على الرغم من وجوده كالمعدوم.

الشرط الثالث: العلم

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٦) قال الطبري رحمه الله تعالى: (معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحقّ، فذلك هو القفو)(٢١) الإسلام دين يقدر العلم، ويعلي من شأن أهله قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر:٩)، فللعلم فضيلة وشرف لا تدانيها فضيلة أو شرف؛ لذلك أمر الله عز وجل من نبيه ﷺ أن يطلب الزيادة منه، قال الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (طه:١١٤)، قال القرطبي رحمه الله تعالى: (فلو كان شئ أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم)(٢٢)، لذلك فإن المحاور الذي يقدر المهمة التي سيقوم بها ينبغي أن يستعد لها بالعلم، والعلم شرط بل وشرط مهم لتحقيق المطلوب من الحوار، لأنه بفقده يفقد المحاور دوره، ومن أهم ما ينبغي على المحاور أن يعلمه:

١. العلم بالموضوع الذي سيدور حوله الحوار، وبما قيل فيه من قبل، وبالاعتراضات التي يمكن أن توجه له، وبالرد المناسب عليها، فجهل المحاور بالموضوع وبما يتعلق به يؤدي إلى إسقاط دوره، وإفشال الحوار؛ وبالتالي عدم حصول الفائدة المرجوة منه.

٢. العلم بشخصية المحاور الذي سيحاوره، وهذا أمر في غاية الأهمية، لأن الحجج والبراهين تتوقف على طبيعة المحاور، فعندما تحاور من يتفق معك في العقيدة، لا تجد صعوبة في أن تدلل له على صحة قولك بأدلة من القرآن والسنة، بينما الأمر ليس كذلك لشخص لا يعرف عنهما شيئا، وهكذا شخص يختلف معك في المذهب أو طريقة التفكير ينبغي أن يكون استعدادك للحوار بما يناسبه.

٣. العلم بالقواعد، والقوانين التي يحتاج إليها في الحوار(**).

الشرط الرابع: الصدق

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة:١١٩)، وروى البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله

* تاريخ دمشق ٢٢ /٣٨٩، وفي حلية ا؟لأولياء ٦ /٧٨، ولكن بلفظ حليم من جاهل.

** وهي تختلف باختلاف الموضوع، وشخص المتحاورين، والطريقة المعدة لذلك، لذا وجب على المحاور أن يستعد حسب ما تقتضيه الحالة بما ينجح مهمته.

عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا)(*) فقوله ﷺ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ)، قال النووي رحمه الله تعالى: (قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ أَنَّ الصِّدْق يَهْدِي إِلَى الْعَمَل الصَّالِح الْخَالِص مِنْ كُلّ مَذْمُوم) (٢٣)، لذلك، فإن الصدق في القول والعمل والإخلاص والنية، مهم لسلوك الطريق الصحيح في الدنيا، والفوز في الآخرة، والمحاور يحتاج إلى الصدق لينجح في مهمته؛ لأنه إذا وسم بالكذب لم يؤبه له، وفقد مصداقيته، والمحاور ينبغي أن يتحرى الصدق في كل شيء ومن ذلك:

١. الصدق في القول، فلا يقول إلا ما يتأكد منه، حتى ولو في المجاملة كما لو قال لمحاوره إني أحبك، أنا حريص على مصلحتك، أنا أرغب في ظهور الحقيقة ولو كانت من خلال ما تطرحه، ونحو ذلك من عبارات يلقيها الناس غير مكترثين لها، وهي في الحقيقة إن خرجت من قلب صادق كان لها تأثير كبير في نجاح الحوار.

٢. الصدق في النقل، فإن نقل من مرجع، أو نسب قولاً لشخص ما، عندها لابد أن يكون نقله صادقاً، وإلا فقد مصداقيته.

٣. الصدق في الداخل، أي دخيلة نفسه فلا يظهر خلاف ما يبطن، لأن في ذلك خداع يهدم الحوار.

الشرط الخامس: القدرة

وأقصد بذلك قدرة المحاور على توصيل ما يريد من أفكار، فقد يكون عالماً عاقلاً حسن النية صادقاً، ولكنه لا يستطيع أن يبلغ ما يريد لعذر آخر كأن يكون مريضاً مرضاً يمنعه من المشاركة، أو أن يكون لديه صعوبة في النطق مثلاً.

الشرط السادس: اللباقة، والكياسة

من شروط إتمام حوار ناجح: قدر من الكياسة (الفطنة)، واللباقة (الإتقان وحسن التصرف). لابد للمحاور من قدر من الذكاء وحسن التصرف يساعده على استمرار الحوار، والتغلب على الخلافات، وحلها،يقول الدكتور شوقي أبو خليل: (واللباقة صيغة أساسية يجب توفرها في (الحوار دائماً)، لنضمن نجاحه، ونصل، أو نقترب من الحقيقة، ونترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي، ونعبر إلى المستقبل في ضوء خبرات الماضي، ووقائع الحاضر) (٢٤).

الشرط السادس: نبذ الهوى والتعصب،والتزام الموضوعية

من الأمور المهمة التي يرجع إليها السبب في الخلاف بين الناس؛ اختلاف رغباتهم وشهواتهم وتوجهاتهم الفكرية (ميولهم الشخصية)، ولقد ذم القرآن الكريم الاستسلام التام للهوى (ميل النفس إلى الشيء خيراً كان أو شراً)، وحذر رسوله ﷺ منه وبين الطريق السديد المنجي من ذلك قال الله سبحانه تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة:٤٨)، ففي الآية نهى الله عز وجل نبيه ﷺ عن اتباع ميول الناس ورغباتهم، المخالفة للحق، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ وبين سبحانه وتعالى المنهج الواجب الاتباع بقوله: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله: ﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾فما أنزله الله عز وجل، هو الحق الذي ينبغي أن يرجع إليه في فصل الخصومة، وحل النزاعات، وقد بين الله عز وجل خطورة الانحراف عن الحق واتباع الهوى، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾

---

* الحديث أخرجه البخاري برقم في كتاب «الأدب» باب «قول الله تعالى ياأيها الذين آمنوا..» برقم (٦٠٩٤) ٦١٥/١٣ ومسلم في كتاب «البر والصلة» باب «قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله» برقم (٢٦٠٧) راجع شرح النووي ٤٠٥/٨.

(المؤمنون:٧١)، ومثل الميول الشخصية التعصب للمذهب أو القوم أو الفكر، وقد حذر النبي ﷺ من هذا الأمر وبين خطورته روى مسلم عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ) (*)، فقد كانوا في الجاهلية يرفعون شعار (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فينصر الرجل قومه وإن كانوا على الباطل، فجاء النبي ﷺ لإعلاء راية الحق والعدل، فصحح الفهم المغلوط وأرشد إلى ما ينبغي أن يتبع لتوثيق الروابط بين الناس روى البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ)(**) فالتعصب للحزب، أو الفكر، أو القوم دون الاعتناء بالبحث عن الحقيقة يقوض الحوار ويفشله.

والموضوعية: هي أن تبحث موضوعاً محدداً بتجرد، بعيداً عن التهويل أو التحقير، وأن تقبل نتائج البحث العلمي النزيه، طالما أنها تستند إلى أدلة وبراهين مقنعة،لذلك فإنه شرط من الشروط المهمة لنجاح الحوار نبذ الهوى والتعصب و التزام الموضوعية.

شروط الحوار

لا يمكن أن يدور حوار إلا بمتحاورين، يبحثون موضوعاً محدداً، ولإتمامه والحصول على نتائج إيجابية تكون مقنعة للجميع؛ لابد من تهيئة الجو المناسب للحوار بما يكفل له النجاح.

ومن الشروط المهمة التي تعين على إنضاج حوار هادف وجاد يتمخض عن نتائج مقنعة ومحل رضا من الجميع الآتي:

الشرط الأول: الحرية

يقدر الإسلام الحرية، ومن أجل ذلك تجد أنه يقدم مبادئه من خلال حجج عقلية دامغة ففي مجال اثبات وجود الخالق يقول المولى جل وعلا: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾الطور/٣٥، قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى: (فكأنه تعالى يقول: لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح. الأولى – أن يكونوا خُلقوا من غير شيء أي بدون خالق أصلاً. الثانية – أن يكونوا خلقوا أنفسهم. الثالثة – أن يكون خلقهم خالق غير أنفسهم. ولا شك أن القسمين الأولين باطلان، وبطلانهما ضروري كما ترى، فلا حاجة إلى إقامة الدليل عليه لوضوحه. والثالث – هو الحق الذي لا شك فيه، وهو جل وعلا خالقهم المستحق منهم أن يعبدوه وحده جل وعلا)(١٧)، ولإثبات الوحدانية له سبحانه وتعالى قال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء:٢٢)، أي لو كان فيهما آلهة غير الله عز وجل لغالب كل واحد منهم الآخرين ولفسد نظام الكون نتيجة لذلك، وهذا ما لم يحدث، وبالتالي فليس للكون إلا إله واحد، ولإثبات البعث تجد أن القرآن الكريم مليء بالأدلة العقلية الدامغة التي تثبت هذه الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس:٧٨-٧٩)، فالأدلة العقلية التي تخاطب الفطرة السليمة منهج اعتمده القرآن الكريم في تبليغ الدعوة الإسلامية؛ وذلك ليكون قبول الرسالة عن حرية واقتناع تام. قال الله تعالى:﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾ (الأنفال: ٤٢)، أي ليموت من يموت بعد أن قامت عليه الحجة فلا يكون له عذر عند الله تعالى، وليعيش من يعيش على بينة من أمره بعد أن ظهرت له الحجج الواضحة على

* الحديث أخرجه مسلم في كتاب «الإمارة» باب «وجوب ملازمة جماعة المسلمين» برقم (١٨٤٨) راجع شرح النووي ٤٧٩/٦.

** الحديث أخرجه البخاري في كتاب «المظالم والغصب» باب «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» برقم (٢٤٤٤)، انظر فتح الباري ٥٦١/٦.

وجود الخالق ووجوب الإيمان به سبحانه وتعالى.

ولقد أرسل القرآن الكريم رسالة الحرية مدوية في قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٥٦)، هذه الحرية التي أعلى من شأنها الإسلام ينبغي أن تشكل الجو العام الذي تدور فيه المحاورة حتى تؤتي ثمارها، ولابد من التنبيه على أن الحرية ليست مطلقة فالتصرف المطلق لخالق الكون وما فيه. أما الإنسان فإنه عبد لله تعالى لا يعيش بمفرده، لذلك فإن حريته في الكون مقيدة بما يرضي خالقه، وبما لا يؤذي من حوله.

هذه الحرية التي أعلى من شأنها الإسلام ينبغي أن تشكل الجو العام الذي يدور فيه الحوار، وذلك لأن أي حوار يدور محاطاً بالقيود والموانع لا يأتي بالنتائج المطلوبة، والحرية المقصودة هنا هي حرية الشخص في التعبير عن رأيه بلا قيد، وليس بالضرورة أن يكون القيد سجناً أو معتقلاً، فقد يملك السجين من حرية التعبير مالا يملكه غيره، وقد نبه الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى إلى شيء من ذلك بقوله: (ومنها أن يتجنب المناظرة مع من هو من أهل المهابة العظيمة والاحترام العظيم كيلا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي)[٨]، لذلك فإن الحرية شرط لإجراء حوار هادف وجاد يتمخض عن نتائج يعبر عن قناعة المتحاورين، ولنضع في الاعتبار ما يأتي:

١. أن القيود على الحرية لا تقف عند السجن أو الحصار، بل لها صور عديدة منها الإرهاب الفكري، والضغط النفسي، والنفوذ الشخصي، ونحو ذلك من الأشكال التي تحد من قدرة الشخص على إبداء رأيه.

٢. أن هناك فرق بين الحرية والتحررية؛ فالحرية معنى جميل مقبول لدى عقلاء البشر، وأنها تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين، وفي نفس الأمر لا تصطدم والثوابت الدينية.

٣. أن مهمة المحاور هي: إقناع الآخرين، وليس حملهم على قبول فكره، أو وجهة نظره.

الشرط الثاني: الأمن

الأمن من النعم العظيمة التي امتن الله عز وجل بها على عباده المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام:٨٢)، قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: (﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ ﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء)[٢٥]، وقال النبي ﷺ: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ)* فالأمن نعمة عظيمة يمتن الله عز وجل بها على عبده، وشرط لها شرط الإيمان، وقد نبه الله عز وجل إلى أهمية أن يشعر المتلقي بالأمن لقيام الحجة عليه في قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٦)، وإذا طلب ذلك للمشرك فهو للمسلم من باب أولى.

إن الشعور بالأمن له دور كبير في أن يظهر كل محاور رأيه بوضوح، وأن يدلل على ما يريد أن يثبته بكل قوة، وفي المقابل يمكن للطرف المقابل

---

* الحديث أخرجه مسلم في كتاب «الذكر والدعاء» باب «فضل الاجتماع على تلاوة القرآن» برقم (٢٦٩٩)، انظر شرح النووي ٢٦/٩.

له أن يرد عليه، و أن يزيل ما عنده من اللبس الداعي للحوار، أو أن يصحح ما قد يكون مجانباً للصواب في فكره هو من خلال عرض محاوره القوي، فالأمن دافع لأن يعبر الأطراف عن أرائهم بوضوح وطمأنينة، ودافع لإنضاج نتائج يقبلها الجميع، لأن المضطرب قد يقبل اليوم ما يرفضه غدا، لأنه في الغالب لا تكون قناعته تامة. والأمن أمنان هما:

١. الأمن الشخصي: ويتمثل في شعور الإنسان بالأمن نتيجة لإيمانه، وراحة ضميره؛ ولا يخفى أثره الإيجابي على عملية الحوار، وذلك لأن الشخص المضطرب مشتت الفكر غير قادر على تقديم الحجج والبراهين القوية المقنعة غالباً، كما أنه لا يتمكن من تمييز ما يسمعه بسهولة.

٢. الأمن المجتمعي: ويتمثل فيما يوفره المجتمع لأفراده، أو لغيرهم من الوافدين عليه من أمن، ولا شك أن لهذا الأمن دوره في إجراء حوار ناجح يعطي نتائج مقنعة.

الشرط الثالث: الانتباه والتركيز

لابد من توفير الجو المناسب الذي يمكن المتحاورين من التركيز والانتباه لما يقوله كل واحد من المشاركين، فالانتباه لما يعرض من أدلة، وبراهين، ومحاولة تلمس العظة والعبر سمة ينبغي أن تميز الباحث عن الحقيقة، ولا عبرة ولا عظة لمن لم يكن له قلب حي واعي، وسمع حاضر منتبه قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق:٣٧)، وقد بين النبي ﷺ أهمية استخدام السمع، وحضور القلب فيما رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ)(*)، لذلك فإن الاستماع الجيد، ومحاولة فهم المتداول من الكلام شرط في إجراء حوار هادف بناء.

الشرط الرابع: المرجعية

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:١١١)، فإقامة الحجة بالأدلة المعتبرة المناسبة للمسألة المطروحة أمر مهم، وحتى يكتسب الحوار مصداقيته، ولا يكون عرضة للفشل لابد من تحديد المرجعية التي يرجع إليها في حسم الخلاف،لأن عدم تحديد مرجعية،يعطي فرصة للأهواء كي تدير دفة النقاش، ويتحول بالحوار إلى مزيد من الشقاق، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩)، وروى البخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلا مِنْ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ فَغَضِبَ فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقَدُوهَا فَقَالَ: ادْخُلُوهَا فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقُولُونَ فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ النَّارِ فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتْ النَّارُ فَسَكَنَ غَضَبُهُ فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)(**) اختلف القوم في فهم الأمر بطاعة الأمير هل هو أمر مطلق؟، أم أنه مقيد؟ وأجلوا الفصل في الأمر لحين الوصول إلى النبي ﷺ لحسم الخلاف، وهكذا ينبغي للمتحاورين من تحديد مرجعية يرجع إليها عند الاختلاف يرتضيها الطرفان، ومن أجل ذلك وضع العقلاء قواعد تحكم جلسة الحوار. قال الشيخ

* الحديث أخرجه الترمذي في كتاب «الدعوات» ٥/٥١٧ برقم (٣٤٧٩)، والحاكم ١/٢٩٤، وهو في صحيح الجامع ١/١٠٨ برقم (٢٤٥).

** أخرجه البخاري في كتاب «الأحكام» باب «السمع والطاعة للإمام..» برقم (٧١٥٤) أنظر فتح الباري ١٦/٤٧٢، ومسلم في كتاب «الإمارة» باب «وجوب طاعة الأمراء في غير معصية» برقم (١٨٤٠) انظر شرح النووي ٦/٤٦٧.

سلمان العودة حفظه الله تعالى: (يجب الاتفاق على أصل يرجع إليه المتحاورون إذا وُجد الخلاف، واحتدم النقاش، وذلك كالاتفاق على الرجوع عند الاختلاف إلى القرآن الكريم، وإلى صحيح السنة، وإلى القواعد الثابتة المستقرة، أو إلى ما كان عليه السلف الصالح -رضي الله عنهم-، المهم أن نتفق على أمور تكون مرجعًا عند الخلاف) (٢٦).

الخاتمة

لقد قمت في هذا البحث بالحديث، عن مفهوم الحوار، والألفاظ المقاربة التي يستخدمها الناس للتعبير عن المعنى ذاته، وبينت أن بينها فروقا عند التدقيق، وألمحت إلى أن كثرة الألفاظ المستخدمة كبديل لمصطلح الحوار يدل على أهمية الموضوع، ولما كان الحوار جهد بشري يتعرض الناس فيه للخطأ والصواب بينت متى يكون الحوار محموداً؟ ومتى يكون مذموماً؟ مع بيان حكمه شرعاً.

وتكلمت بعد ذلك عن أهمية الحوار من خلال المجالات التي يحتاج الإنسان فيها للحوار، وبينت أن الإنسان العاقل البصير يحتاج لأن يكون له حواراً ناجحاً مع نفسه، وحواراً دائماً مع ربه، وأن نجاحه في الحوار مع خالقه، ومع ذاته يكون كالتوطئة لنجاحه مع الآخرين، كما بينت أهمية الحوار من خلال سرد تاريخي موجز له، وأيضاً بذكر بعض فوائده.

ثم تحدثت بعد ذلك عن أركان الحوار، وبينت أنهما ركنان هما: الموضوع، وطرفا الحوار وذكرت الشروط التي يجب أن تتوفر في كل منهما، في نسق أظن أني لم أسبق إليه، وأسأل الله عز وجل أن يعينني على صقل هذا الأمر بتوسع أكبر ليشكل مرجعا يرجع إليه في بابه.

وتكلمت بعد ذلك عن شروط الحوار بإيجاز يتناسب والمطلوب، على أمل التوسع في الموضوع بما يجمع أشتاتاً متفرقة من مراجع متعددة تحتاج لأن تتبلور في نسق واحد وفق خطة منظمة تتفق وما وضعه علماؤنا من مصطلحات وأصول، مع طرح أفكار جديدة تتناسب مع الحالة التي تعيشها الأمة اليوم. أرجو الله عز وجل أن يوفقني لما فيه الخير وكذلك كل راغب فيه.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

المراجع

١. حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، ج١، ط١، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ – ١٩٩١ م.

٢. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٢، دار الجيل، بيروت – لبنان، (د – ت).

٣. بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، ، ط١،دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٤. ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، ج٢ – ج١٤ ص٩٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ م.

٥. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط١، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة – مصر ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م.

٦. الجرجاني: علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

٧. أبو البقاء: أيوب ابن موسى الحسيني، الكليات، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

٨. محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، ٣/٢ – ٢٨/١ – ٤/٢-٩١/٢ ، القاهرة – مصر، (د – ت).

٩. محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص٥، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، ١٩٨٠ م.

١٠. الزبيدي: محب الدين أبي الفيض السيد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٩ دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٤– هـ ١٩٩٤ م

١١. ابن حجر: أحمد بن علي، فتح الباري:شرح صحيح الأمام البخاري، ج١٤، ط ١، دار أبي حيان القاهرة – مصر، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م.

١٢. زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط ٢، (د – ن)، ١٤٠٠ هـ
١٣. ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، رسائل ابن أبي الدنيا، ج٢، ط٢، المركز العربي للكتاب، الشارقة = الإمارات، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.
١٤. ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ط٥، الدمام – السعودية ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
١٥. ابن كثير: إسماعيل بن كثير الدمشقي، ج٣، دار المعرفة ، بيروت – لبنان، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.
١٦. أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٢ – ج٦، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٩ – ١٩٨٨ م.
١٧. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٧–ج٤، مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.
١٨. الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ٤٤٥/٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
١٩. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، موسوعة العلامة ابن خلدون، دار الكتاب المصري، ج٢، القاهرة، مصر ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٢٠. الغزالي: محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج٢، دار المعرفة،بيروت – لبنان، (د – ت).
٢١. الطبري: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج١٥، ط٣، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨ م.
٢٢. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج٤ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٢٣. النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم شرح النووي، ج٨، القاهرة – مصر دار أبي حيان، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٤. شوقي أبو خليل، الحوار دائماً، ط٢، دار الفكر، دمشق – سوريا ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.
٢٥. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١، مركز فجر للطباعة و النشر، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٢٦. سلمان بن فهد العودة، أدب الحوار، ط١، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ١٤٢٤هـ.

Ajman Journal of Studies and Research

Refereed Periodical

Volume 8 - Number 2

1430 Hijri – 2009 BC

The Role of University in attaining intellectual Security

Prf. Saleh Bin Ali Abu arad 7

History and Interpretation of the world western intellectuals and aworeness of the major transformations

Prf. Ismail Norri Mseer 27

Dialogue
Conception - Importance - Main stays - Conditions

Mr. Mohamed A. El Adawi 44

Publication Rules

1. Contributions submitted for publication should be original, accurate and up-to-date.
2. Manuscripts should be electronically typed using proper language and should be free from spelling and typing errors.
3. Manuscripts should not exceed 40 pages (18000 words).
4. Manuscripts should be submitted in three copies double spaced on one side A4 paper.
5. Manuscripts can written in Arabic or English languages, A summary of no more than 250 words in both languages should be attached.
6. Manuscripts submitted for publication shouldn't have been published, or is being considered for publication elsewhere.
7. References should be organized according to following from :

Books :

Writer's name - Book's name - Part No. - Edition Serial - Publisher - Town - Country - Year.

Periodicals :

Researcher's name - Research Title - Periodical Name - Volume No. - Issue No. - Publisher - Town - Country - Year.

8. Editorial Board, Editorial Advisory Board of AJSR, as well as Trustees of Rashed Ben Humaid Award for Culture and Science and Board of Directors of Umm Al Moumineen Women Association are not allowed to publish their articles in the journal.
9. All manuscripts shall be peer reviewed before being published.
10. Original copy of the manuscript shall be returned only if publication is declined.
11. Authors shall be informed on whether their manuscript has been accepted for publication or not.
12. Authors agree to transfer the copyright to AJSR. AJSR has the exclusive rights to distribute the article including reprints, photographic reproduction, microfilm, electronic data bases.
13. A short authors' bibliography of no more than 50 words should be attached to the manuscript.

Articles published in this journal do not necessarily represent the views of the journal or that of Rashid Ben Humaid Award for Culture and Science

Ajman Journal of Studies and Research

Ajman Journal of Studies and Research (AJSR) is a biannual peer reviewed periodical journal. It will publish original humanitarian, social and scientific articles. The journal is published by Rashed Ben Humaid Award for Culture and Science which was established on 1983 to participate in cultural and scientific development in UAE and the entire GCC states through reviving the spirit of competition among GCC nationals and residents by encouraging scientific research.

Objectives :

1. To publish serious and original studies and researches to enrich knowledge.

2. To enhance scientific and intellectual relationship among researchers and students, and to achieve continuous scientific and cultural links with other scientific bodies, specialized centers, universities and colleges.

3. To deal with and tackle humanitarian and scientific issues in The UAE and Arabian Gulf region.

4. To introduce new researches, references, recent data bases, scientific conferences and symposiums, and MSc and Ph. D dissertations.

Ajman Journal of Studies and Research

Refereed Periodical

Editor - in - Chief

Dr. Amna Khalifa Mohammed

Secretary

Ms. Mais Aref Kamel

Editorial Board

Prof. Abdullah Mohammad AlShamsi
Dr. Aisha Mubarak AlNakhi
Dr. Yusuf Ali Mohamoud
Mr. Saleh Abdulrahman Al Marzouqi

Editorial Advisory Board

Prof. Ibrahim Al Naeimi	Qatar University
Prof. Darwish Abdulrahman	UAE University
Prof. Abdullah Ismail	UAE University
Prof. Abdullah Al Sheikh	Kuwait University
Prof. Fahmi Jadaan	Kuwait University
Prof. Mohammad Al Khatib	King Faisal Schools
Prof. Mahmoud Shouq	Cairo University
Prof. Wahib Al Khaja	Bahrain Applied Science University
Dr. Abdullah Al Shanfry	Sultan Qabous University
Dr. Esam Al Rawas	Sultan Qabous University

ISSN 1609-381X

Ajman Journal of Studies and Research

Refereed Periodical

Volume 8 Number 2

1430 Hijri - 2009

Published by Rashed Ben Humaid Award for Culture and Science

Ajman - United Arab Emirates